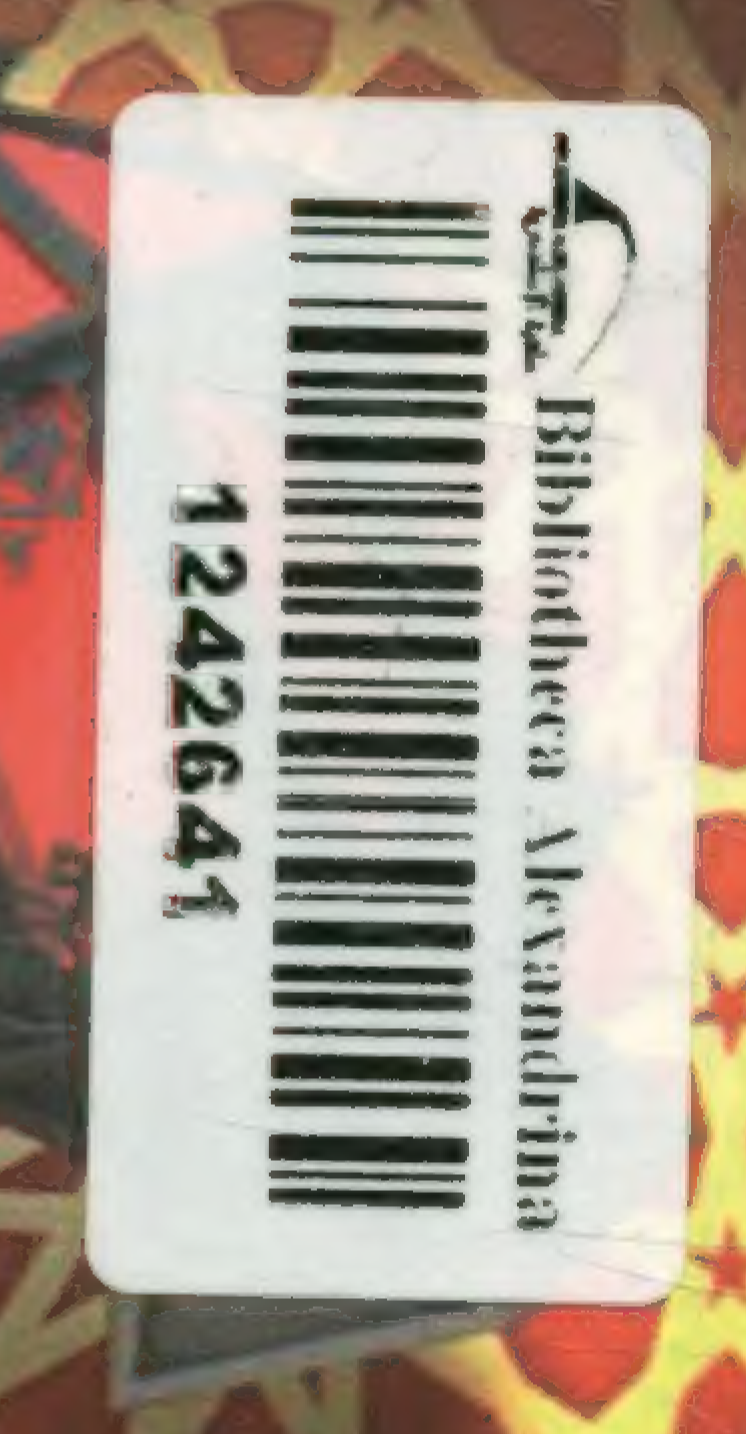
كتاب الهلال

د. محمد فتحي فرج

فلسفة الصيام بين القرآن والعلم



مجلة الهلال تصدر ١ يوليو ٢٠١٥




الهلال

الفيسبوك: العالم الأزرق المرعب

ملف خاص

نصر أبوزيد والوجه الإنساني للإسلام

ثورة يوليو.. ماذا بقي من عبد الناصر؟



سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
غالي محمد

رئيس التحرير
سعد القرش

الهلال

الإدارة

القاهرة: ١٦ شارع محمد عزالعرب بك (المبتديان سابقا)
ت: ٢٣٦٢٥٤٥٠ (٧خطوط).
المكاتبات: ص.ب: ٦١العتبة.
القاهرة ـ الرقم البريدي ١١٥١١
. تلغرافيا: المصور ـ القاهرة
ج.م.ع.
تلكس:
Telex ٩٢٧٠٣ hilal u n
فاكس: FAX: ٣٦٢٥٤٦٩

مدير التحرير
أحمد شامخ

المستشار الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير
صلاح زبادي

مستشار التحرير
محمد رضوان

تصميم الغلاف: محمود الشيخ

ثمن النسخة

سوريا ١٢٥ ليرة -
لبنان ٨٠٠٠ ليرة -
السعودية ١٢ ريالا-
البحرين ١,٢ دينار-
قطر ١٢ ريالا -
الإمارات ١٢ درهما -
اليمن ٤٠٠ ريال -
فلسطين ٢دولار

الاشتراكات

قيمة الإشتراك السنوى ٩٦,٠٠جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدماً نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية- البلاد العربية ٤٠ دولاراً - أوربا وأسيا وأفرقيا ٤٥ دولاراً - أمريكا وكندا والهند ٥٠ دولاراً - باقى دول العالم ٧٥ دولاراً.

القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الإشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

الإصدار الأول/ يونيو ١٩٥١

البريد الإلكتروني: helalmag@yahoo.com

طبع هذا العدد بأخبار باكين



الكتاب فلسفة الصوم بين القرآن والعلم
المؤلف : د. محمد فتحى فرج
التصنيف : كتاب الهلال
رقم الإيداع : ١١٣٣٠ / ٢٠١٥
الترقيم الدولى : 5 - 1703 - 07 - 977 - 978

فلسفة الصوم بين القرآن والعلم

د. محمد فتحى فرج

دار الهلال

الإهداء

إلى الصائمين والصائمات إيمانا واحتسابا. وأدعو الله أن أكون منهم. أهدى هذا الكتاب، متمنيا لهم صوما مقبولا، وذنبا مغفورا، وأجرا عظيما.

المؤلف

مقدمـــــة

هل استعددنا لاستقبال رمضان ؟!

يدور الزمن دورته ، ويقترب منا شهر الخير فى سيره ومسيرته ، تلك المسيرة الأبدية عاما بعد عام ، وعقدا من السنين بعد عقد ، بل وقرنا من بعد قرن .. وهكذا ، فتذهب أجيال وتأتى أجيال ، وهو لا يخلف - مع من قدر لهم البقاء من عباد الله - وعده وميعاده ، فهلا أعددنا له العدة ، وشمرنا عن ساعد الجد ، طاعة لله ، وعبادة خالصة من كل شائبة له ، إيثارا لما عند الله ، فقد وعد فى كتابه وهو أصدق القائلين : «فما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» النحل : ٩٦ .

شعبان مقدمة لرمضان:

لهذا الشهر الكريم ، شهر شعبان العظيم ، منزلة كبري ومكانة كريمة فى الإسلام وعند المسلمين ؛ إذ يقع هذا الشهر المبارك بين شهر رجب الفرد ،

وهو أول الأشهر الحُرُم ، وبين شهر الهُدى والفرقان ، شهر النور والقرآن ، شهر رمضان المعظم. ولذلك فقد احتفى به النبى - صلي الله عليه وسلم - أيما احتفاء ، وكان يكثر الصيام فيه أكثر من أى شهر آخر فيما عدا رمضان ، وكان يستقبله منوّها بمكانته تلك ، فى قوله عليه الصلاة والسلام : «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلي رب العالمين، فأُحب أن يرفع عملى وأنا صائم».

والسير على منهاج النبوة فيه الخير كل الخير ، فحينما يكثر المرء من الصيام والعبادة والاجتهاد فى شهر شعبان، يأتى شهر رمضان وقد تهيأ له العبد المؤمن ، فلا يثقل عليه صيامه ولا يصعب عليه قيام ليله، ولا يغلبه نوم أو يقعد به كسل عن أداء ما افترض الله عليه فيه من عبادات وما سنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من نوافل، فان شعبان هو المقدمة التمهيدية لرمضان، فيستعذب المرء فيه العبادة والاجتهاد فى الطاعات.

من فضائل شهر شعبان:

ولشعبان من الفضائل الأخرى - بخلاف ما ذكرناه آنفا من رفع الأعمال فيه - الكثير ، ومنها الأمر الإلهى بتحويل قبلة المسلمين بتوجههم فى كل صلاة لهم تجاه المسجد الحرام بدلا من توجههم إلى بيت المقدس ، وفى ذلك ترضية للرسول - صلى الله عليه وسلم -، الذى كانت تهفو نفسه إلى ذلك، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لجبريل عليه السلام : «وددت لو حولنى الله إلي الكعبة فإنها قبلة أبى إبراهيم» فيرد عليه جبريل: «إنما أنا عبد مثلك، وأنت كريم على ربك، فسل أنت ربك ، فإنك عند الله بمكان» . وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى: «قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» . البقرة: ١٤٤ .

فيفرح النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك ، ويفرح المسلمون ، ويحولون قبلتهم فى صلاتهم تجاه الكعبة المشرّفة ، وقد كان لذلك تأثيره الكبير فى مسيرة الدعوة الإسلامية والمد الإسلامى.

اللهم بلغنا رمضان:

للدعاء أهمية كبرى فى الإسلام ، فقد ورد عن سيدنا عمر أنه قال: «والله إنى لا أحمل هم الإجابة ولكنى أحمل هم الدعاء». وقد ورد فى الأثر أن: «الدعاء هو العبادة»، وقيل أيضا: «إن الدعاء هو مخ العبادة». وقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - لمعرفته اليقينية بما فى رمضان من نفحات الخير، التى لا يعلمها إلا الله تعالى، يدعو بهذا الدعاء، الذى ما أحرانا أن نتعلمه ونحرص عليه، وهو: «اللهم بارك لنا فى شعبان وبلغنا رمضان». وهذا الدعاء فى ظاهره قد نشتم فيه الحرص على الحياة، وهذا أمر لا بأس فيه؛ إذ الحياة هى ذاتها خلق من خلق الله تعالى، القائل فى كتابه العزيز: «الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور». الملك: ٢. وربما تكمن الحكمة من دعاء النبى - صلى الله عليه وسلم - فى آخر الآية السابقة من سورة الملك: «ليبلوكم أيكم أحسن عملا». وقد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث آخر إلى أن: «خيركم من طال عمره وحسن عمله».

وقـــد ورد فى الأثر: «لو علم الناس مـــا فى رمـضـــان من الخـيـر لتمنوا أن تكون السنة كلهـا رمضان» .

قراءة القرآن:

القـرآن الكريم هو آخـر الكتب السـمـاوية التى أنزلها الله تعالى لهداية عـبـاده، وقـد قيل فى وصفه الكثير والكثير، ولقراءة القرآن فى شهر رمضان مذاق خاص؛ إذ هو الشهر الذى فيه أنزل بنص القرآن الكريم ذاته: «شهر رمضان الذى أنزل فـيـــه القـــرآن هدى للناس وبينات من الهــدى والفرقان» البقرة: من الآية ١٨٥ .

وقد كان جبريل عليه السلام يراجع النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن فى رمضان ، كما ورد فى الحديث. ولقراءة القرآن فى رمضان ثواب عظيم وأجر مضاعف بإذن الله تعالي. فالسعيد السعيد من انتهز هذه الفرصة الطيبة لينهل من رحمة الله ورضوانه وغفرانه. وقد ورد فى الأثر أن: «الصيام والقرآن يشفعان للإنسان» .

انتظام حياة الإنسان فى رمضان:

الصلاة هي أحد الأعمدة الخمسة للدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ، فإن حسنت وقُبلت، حسنت جميع أعماله وبشّر بالخير ، وإن كان غير ذلك ، فنعوذ بالله من ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ومن بركات رمضان أنه ينظم إيقاع حياتنا فى كل شىء : فى مدخلنا ومخرجنا ، فى سهرنا ونومنا ، فى مأكلنا ومشربنا ، وحتى فى أدائنا لصلواتنا ، فى ميقاتها المضبوط ، وفى مكانها الأثير المفضل أداؤها فيه وهو المسجد. وقد ورد فى الحديث القدسى ، الذى رواه رسولنا الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن رب العزة ـ جل جلاله ـ حول السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: « .. ورجل قلبه معلق بالمساجد ...» .

فالمسجد فى الإسلام هو حجر الزاوية ، أو كذلك ينبغى أن يكون فى حياة المسلم ؛ ولذا فقد حث النبى – صلى الله عليه وسلم –على ارتباط

المسلم وتعلقه به قدر الطاقة فقال فى حديث أبي هريرة : «من غدا إلى المسجد أو راح ، أعد الله له في الجنة نزُلا كلما غدا أو راح» . متفق عليه . وقال - صلى الله عليه وسلم - فى حديث بريدة : «بشّر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» . رواه أبو داوود والترمذى . وأعتقد أن تلألؤ النور فى المساجد طوال شهر رمضان ، وانغماس المسلم فى العبادة فى هذا الجو النورانى ، بشرى بذلك النور التام يوم القيامة . وتلكم من بركات رمضان ونفحاته التى ندعو الله ألا يحرمنا إياها ، فهو ولى ذلك والقادر عليه .

وقبل أن أنهى هذه المقدمة أشير إلى أن هذه الفصول قد تم نشرها منجمة ، فى أوقات مختلفة خلال أشهر رمضان للأعوام السابقة ، وآثرت أن أتركها كما نشرتها أول مرة ؛ ومن ثمّ فقد يجد القارئ في بعضها شيئا من التكرار لطبيعة ارتباط موضوعاتها ؛ لذا لزم التنويه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

من فلسفة الصيام فى شريعة الإسلام

الصيام فى شريعة الإسلام له منزلة عظيمة ، ومكانة سامية ، إذ هو ركن أساسى من أركانه ، وقد فرضه الله تعالى فى السنة الثانية للهجرة النبوية المباركة. وقد كتبه الله تعالى علينا نحن المسلمين كما كتبه على الأمم السابقة من قبلنا لقوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم " ، والعلة فى ذلك كما أوضحها الله تعالى فى عجز هذه الآية الكريمة ، تتمثل فى قوله تعالى : " لعلكم تتقون" البقرة: من الآية ١٨٣ .

أما ما يجتهد المفسرون والمفكرون فى محاولة بيانه والوصول إليه هو الكيفية التى يعمل بها الصيام عمله فى المسلم ، لعله ينجح فى تحقيق الهدف من الصيام ، وهو الوصول إلى هذه الثمرة المباركة . وهى التقوى.

اجتهادات محمودة:

والذين أدلوا بدلوهم فى هذا المجال كثيرون ، ولعلنا نستطيع فى عُجالة تلخيص أفكار بعضهم فى هذا الشأن فى الخطوط العريضة التالية.

فالأستاذ الإمام محمد عبده ـ رحمه الله ـ يبين ، فى قطعة قصيرة دالّة ، بعض النواحى التربوية التي يؤصلها رمضان فى نفس المسلم من المراقبة والضمير اليقظ والصبر وضبط النفس وكلها ضروري لتمام الإيمان بالله تعالى وتعظيمه مما ينعكس على نزاهة المسلم فى الدنيا وسعادته فى الآخرة ، كل ذلك فى أسلوب أدبى رفيع، وعبارة تتميز بالسلاسة والوضوح والإيجاز رغم ما تنطوى عليه من معان عميقة ، يقول الإمام: "إن أمر الصيام موكول إلى نفس الصائم لا رقيب عليه فيه إلا الله تعالى ، وهو سر بين العبد وربه لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه وتعالى ، فإذا ترك الإنسان شهواته ولذّاته التى تعرض له فى عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه ، والخضوع لإرشاد دينه مدة شهر كامل فى السنة ، ملاحظا عند عروض كل رغبة له من رغائب النفس أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو فى أشد الشوق إليها ، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة

المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى ، والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه، وفى هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى ، والاستغراق فى تعظيمه وتقديسه أكبر مُعدّ للنفوس ومُؤهّل لها لضبط النفس ، ونزاهتها فى الدنيا ، ولسعادتها فى الآخرة.

أما أستاذنا العقاد فقد اجتهد أيضا ، وأوضح لنا أن الصيام يؤدى إلى تربية الإرادة ، ففى مقال له بعنوان: "رمضان شهر الإرادة" ، يبرز فيه العقاد دور الصيام فى تأصيل هذه المزية ، التى هى من ألزم الصفات للأغنياء والفقراء على السواء ، حيث يقول: فالإرادة لازمة فى كل تكليف وفى كل تبعة وفى كل فضيلة ، فلا قوام للفرائض والفضائل جميعا بغير هذه الإرادة.

وهى لازمة للفقير لزومها للغنى ، فإن كان أحدهما أحوج إليها من الآخر فهو الفقير ، لأن الغنى قد يجد عنده ما يعوض التفريط فى أعمال الإرادة والعزيمة والحزم والمضاء ، وليس هذا العوض ميسورا للفقير إلا بزيادة الجهد والعناء.

الإرادة إذن هى فضيلة الفضائل فى الصيام. ومتى عرفت هذه الحكمة فآداب رمضان كلها محصورة فيها مستفادة من معناها ، ولا حاجة بالصائم إلى أدب غير أنه يريد الصيام ، وأنه يقوم بفريضة يطلبها ويعلم نفعها ويحمل جهدها ، وإن لم تكن مفروضة عليه. فليس من أدب رمضان أن يتململ الصائم وأن يتجهم لمحدثيه وأن يبدو منه ما يدل على الضيق بالفريضة ، كأنه مكره عليها ، مطيع لها بغير رضاء.

وليس من أدب رمضان أن يهرب الصائم من إرادته ، بقضاء النهار كله في النوم تاركا للطعام ، لأنه غافل عن مواعيده غير منتبه إليه. وليس من رمضان أن يفلت زمام الإرادة بعد غروب الشمس ، فلا يعرف الصائم له إرادة تصده عن الإفراط فى الطعام والشراب ، إلى موعد الإمساك.

أما الشيخ محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، فيبرز دور الصيام فى تحقيق بعض الأهداف وتأصيل بعض الصفات الحسنة فى الإنسان المسلم فيقول: وصوم رمضان "عبادة تلتقى فى هدفها مع أهداف

القرآن فى تربية العقول والأرواح وتنظيم الحياة" ، يُوحِّد بين المسلمين فى أوقات الفراغ والعمل، وأوقات الطعام والشراب، ويُفرغ عليهم جميعا صبغة الإنابة والرجوع إلى الله ، ويُرطب ألسنتهم بالتسبيح والتقديس ، ويعِفها عن الإيذاء والتجريح ، ويسد عليهم منافذ الشر والتفكير فيه ، ويملأ قلوبهم بمحبة الخير والبر لعباد الله ، ويغرس فى نفوسهم خلق الصبر الذى هو عدة الحياة. وهكذا يريد الله أن يكون الإنسان.

وفى كتابه صغير الحجم ، عظيم القدر بعنوان "أسرار العبادات فى الإسلام " تحدث الشيخ الجليل الدكتور عبدالحليم محمود ـ طيب الله ثراه ـ عن "حكمة الصوم بين الأوهام والحقائق" حديثا عذبا غير تقليدى ، فبعد أن سرد آراء بعض الكتاب والمفكرين ، مع بعض التعقيبات المقتضبة والتعليقات النقدية التى يسوقها فضيلته على هيئة إشارات لطيفة يفهمها القارئ من بين السطور ، يقول: حينما نتحدث عن الصوم نتجه إلى الآيات القرآنية التى تحدثت عن الصوم ،

فنستلهمها الحكمة وفيها ، لو تأملنا ، الحكمة واضحة ، فى تعبير غاية فى الدقة ، يقول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون". البقرة : ١٨٣ .

فى هذه الآية ، يحدثنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه كتب علينا الصيام وفرضه ، لغاية معينة ذكرها فى قوله تعالى "لعلكم تتقون". وعبر القرآن بكلمة "لعل" ، ولم يقطع ولم يجزم بأن ثمرة الصوم لا محالة تحقق التقوى ؛ لأن الصوم يُعِدُّ نفْس الصائم للتقوى.

إنه إعداد وتهيئة ، إن مثله ـ بالنسبة للصائم ـ كمثل زارع، تعد له الأرض وتهيأ ، وتعطى له محروثة ، لا حشائش فيها ، مهيأة تمام التهيئة ، وما عليه إلا أن يتصرف حسبما يريد ، فإن شاء ، ألقى فيها البذر ، ثم تركه يذبل ويموت ، وإن شاء تركها مهملة ، تنمو فيها الحشائش الخبيثة من جديد ، وتعود تربة غير صالحة ، وإن شاء ألقى فيها البذر وتعهده ، حتى

يترعرع ويستوى على سوقه ، ويؤتِى أُكله. كل هذا منطو فى جملة: " لعلكم تتقون" ، فإذا ما تعهد الإنسان نفسه ، التى أُعِدَّت بالصوم ، وانتهى إلى التقوى ، كان جزاؤه ، حقيقة عند الله ، عظيما. ومن هنا مفتاح فهم الأحاديث التى رويت فى الصوم ، والتى لا تُفهم فهما حقيقيا إلا إذا راعينا أن الصائم، يتعهد نفسه التى مُهدت وأُعِدَت بالصوم.

ولعل شيخنا الجليل ـ رحمه الله ـ بهذه الكلمات البسيطة السهلة والسلسة ، والتى يستقيها من روح القرآن ومفاهيمه الرفيعة قد اقترب كثيرا من المعنى الحقيقى لحكمة الصيام السامية.

تجربة علمية ونتيجتها المثيرة:

وإذا كان الصيام طبقا لتعريفه الشرعى هو الإمساك عن الطعام والشراب ومجامعة النساء من مطلع الفجر الصادق حتى غروب الشمس ، فإن ذلك ببساطة معناه أن الصائم فى امتثاله لأمر الله تعالى بالصيام قد تخلى عن أقوى حاجتين

غـريزيتين أو فطريتـين ، وهمـا غـريزة تناول الطعـام وغـريزة ممارسـة الجنس ، والأولى من شـأنهـا الحـفـاظ على حـيـاة الإنسـان ، وأما الثانية فمن شأنها الحفاظ على نوعه ؛ ولذلك فقد جـعلهمـا الله تعالى حاجتين فطريتين ليحـافظ المرء على حياته ويحافظ أيضا على نوعه ونسله من الاندثار والانقطاع. والجـدير بالذكـر أن هـاتين الغـريزتين كـمـا تَحْكُمـان حـيـاة الإنسـان ، تحكمان أيضا حياة سائر الكائنات الحية الأخرى لاسيما الكائنات الحيوانية.

ومن طرائف نتائج بعض البـحوث العلمـيـة ، التى يجـريهـا علماء سلوك الحيوان والفسيولوجيا ، فى معاملهم ومختبراتهم، وينـقله عنهـم البـاحـثـون فى مـجـالات علوم النفس والأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ، نتيجة تجربة أجراها هؤلاء العلمـاء على مجموعة من ذكور الفئران البالغة ، التى حُرمت لمدة طويلة من الطعام وممارسـة الجنس ، وحينمـا تم إنهاء هذا الصيام أو هذا الحرمان من كلتا الحاجتين ، وذلك

بتوفير كل من الطعام والإناث لهذه الذكور فى توقيت واحد ، ترددت الفئران بين الإقبال على الطعام والإقبال على ممارسة الجنس ، وأدى ذلك إلى إنهاك ما تبقى من قواها حتى أدركها الإعياء والهلاك قبل أن تدرك طلبتها من أىّ من تلكما الحاجتين الأساسيتين!

وإن دلّ ذلك على شىء فإنما يدل على قوة وأهمية هاتين الحاجتين الفطريتين لدى جنس الحيوان الأعجمى ، الذى يتميز عن الحيوان الناطق فى كونه يتصرف بتلقائية فطرية مفرطة ، دون مداراة أو دبلوماسية مصطنعة ، ومن ثم فدراسة سلوكها يشى بما يمكن أن تكون عليه حال الإنسان فيما لو تخلى عن تلك المداراة أو ذلك التلطف المصطنع ، ولهذا السبب فقد كان العقاد يعتبر سلوكها الغريزى "المسوَّدة" الأصلية أو الحقيقية لسلوك الإنسان ذاته!

والخلاصة:

والذى يمكن أن نخلص إليه من هذه التجربة ، التى أجريت على الحيوان ، وتصدق على كل ذى كبد رطبة أيضا ،

أن هاتين الحاجتين الأساسيتين من حاجات الكائنات الحية هما من القوة بمكان ، وأن كل واحدة منهما تبز قرينتها فى القوة والشدة ، ولا أدل على ذلك من تعهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بضمان الجنة لمن يَحْكم هاتين الحاجتين ولا يجعلهما يتحكّمان فيه ، حينما قال صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين: "اضمن لى ما بين لحييك وما بين فخذيك اضمن لك الجنة".

وحينما يتخلى الإنسان المسلم طواعية عن هاتين الشهوتين (شهوة البطن وشهوة الفرج) وهو أرقى مخلوق خلقه الله تعالى ، وخلق كل الأشياء من أجله - طبقا لما جاء بالحديث القدسى - وبذلك تتضاعف لديه قوة هاتين الحاجتين ، ومع ذلك يتركهما طاعة لله تعالى لتحقيق المعنى القرآنى العظيم: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون". الذاريات: ٥٦ .

وعند تحقق ذلك على وجهه الصحيح ، وبالشروط التى بيَّنها لنا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الصوم المقبول ، من حفظ الإنسان لسائر أعضائه وجوارحه ، يصبح العبد ربانيا ، مُتَشبِّها فى ذلك ببعض الصفات الملائكية ، وقريبا من قطف ثمرة هذا الحرمان الذى ارتضاه ـ طاعة لله تعالى ـ وهى الاقتراب من درجة التقوى ، التى عرَّفها الخليفة الراشد، الذى تربى فى حجر النبوة ، على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ حينما قال: " التقوى هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل".

ولفضل الصيام على سائر العبادات الأخرى فى الإسلام ، لكونه أمانة وسر بين العبد وربه نسبه الله تعالى لنفسه كما ورد فى مضمون الحديث الذى رواه البخارى وأبو داوود: "الصيام جُنَّة فإذا كان أحدكم صائما ، فلا يرفث ولا يجهل ، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إنى صائم إنى صائم ، والذى نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ؛ يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى. الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشرة أمثالها".

تأملات علمية حول:

الصبر ومجاهدة النفس فى رمضان

لرمضان فرحة كبيرة فى قلب كل مسلم ، يهل علينا العام تلو العام ، فيسعد به الكبير ويفرح به الصغير ، ويستقبله الجميع بأناشيد الفرح والسرور . ويحتفلون به فى الأماسى والأسحار ، فهو كما يقول الأستاذ أبو الوفا المراغى: المُكرر المحبوب. وذلك على غير عادة الناس وما درجوا عليه من الملل من كل مُكرر حتى في وسائل اللهو والتسلية والطعام . والسماع . إلى غير ذلك مما يمل الناس من تكراره ورتابته إلا رمضان . فنحن نستقبله بالأناشيد والشموع . ونودعه بالابتهالات والدموع . ولا عجب في كل ذلك . فهو شهر القرآن . وشهر الصيام . وشهر القيام . وشهر الكرم والجود . وشهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار. وهو شهر الصبر وشهر النصر . وشهر المواساة والفضل وزيادة الرزق.

أما الصوم فهو مدرسة إيمانية ونفحة من الله علوية لعباده الصالحين المخبتين الطائعين . ولئن اجتهدنا فى بيان بعض حكمه ومراميه . واستغلق علينا أو غاب عن بعضنا

جوانبه الأخرى . فإن ثمرته قد أوضحتها الآية الكريمة فى سورة البقرة من قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» البقرة : ١٨٣ .

وعلى ذلك، فكما أوضحت الآية الكريمة السابقة. فإن الله تعالى قد كتب الصيام وشرعه على الأمم السابقة من أصحاب الديانات الأخرى جميعا .وذلك لأهميته البالغة فى تهذيب النفس وإعدادها لبلوغ درجة التقوى . بل إن بنى الإنسان من قديم الزمان: المؤمنون منهم والملحدون: قد تبينوا من آثار الصيام الطيبة فى حياتهم ما جعلهم يمارسونه . ومن ثم فقد اتخذه المتدين وسيلة لإرضاء ربه . كما مارسه الوثنى الكافر طريقا لتهذيب النفس وترويض البدن. كما صام البعض قبولا لمنطق التحدى وتقوية للإرادة وإرهافا للتركيز وشحذا لقوة العزيمة والتصميم . وعلى ذلك فقد كان الصيام شائعا . مارسه الإنسان منذ أول ظهوره على الأرض. بل إننا قد أشرنا قبل ذلك ، فى موضع آخر (١) إلى أن الصيام ظاهرة

فطرية وحاجة فسيولوجية تمارسها معظم الكائنات الحية بشكل اختيارى مهما توافر الغذاء فى الطبيعة من حولها . وليس مقصورا فقط علي الإنسان. وقد يعجب المرء إذا عرف أن بعض الكائنات الحية . ومنها بعض الثدييات كالدب القطبي مفطورة بقدرة الله على الصوم لمدة ستة أشهر فى العام . هى فترة الشتاء القطبى.

رمضان وفريضة الصوم:

أما الصوم في شريعة الإسلام فهو ركن من أركان الدين مفروض في شهر رمضان . الذي أنزل فيه القرآن . فهو عبادة من العبادات المفروضة . وقد أوضحت الآيات القرآنية التى تناولت الصيام ، الحكمة السامية من فرضية هذا الركن العظيم ، فالغاية النهائية والثمرة العظيمة للصوم ، كما علمنا القرآن هى " التقوى " ، حيث يقول الحق ـ تبارك وتعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" البقرة: ١٨٣ وهذا الرجاء الوارد فى هذه الآية الكريمة متحقق بكرم الله ورحمته ؛ وذلك بامتثال العبد الطائع لأمر الله تعالى الذى فيه الخير كل الخير ، سواء

عرفناه أو استغلقت علينا حكمته. فالصيام ليس رياضة جسمية ، الهدف منها إنقاص الوزن ، أو تعذيب النفس وقهرها ليسهل بذلك قيادها ، وهو أيضا ليس رياضة روحية بالمعنى الذى تُمارس به بعض الطقوس الهندية والبوذية بهدف التركيز أو التحدى أو غير ذلك من الأغراض الدنيوية . إنما الصوم عبادة لله من أجلّ العبادات ، فهو سر بين العبد وربه، ومن ثم فإن الله تبارك وتعالى هو الذى يثيب عليه ، مصداقا لقوله تعالى فى الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزى به، والصوم جنة " رواه الشيخان . والمؤمنون حقا لسانهم لا يفتر يقول دوما : " سمعنا وأطعنا". وإنما تأتى سائر المنافع بعدُ تبعا لذلك ، أو زيادة على ذلك منحة من الله الكريم ، فى هذا الشهر العظيم ، ويتفق ذلك مع المعنى القرآني: "وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون" البقرة: ١٨٤ .

شهر الصبر:

فى هذا العصر الذى يندفع فيه الإنسان بكل ما أوتى من قوة نحو سد مطالب البطون ، وإسكات صيحات الفروج ،

حتى أنه نسى ، فى خضم هذا التنافس اللاهث، رسالته الحقيقية فى هذه الحياة ، وظن أن هذا هو دوره المقدور ، وعمله المأجور ، ثم يأتى رمضان ، فى موعده من كل عام ، لكى نتوقف هنيهة ، ونتفرس مليا ، فيما نحن فيه ، وما وصلنا له وصرنا إليه ، لعلنا نثوب ونرجع، ونخشى ونخشع ، فليس بالمادة وحدها يحيا الإنسان ! فأهم منها حاجته الروحية ، التى تتحقق على وجهها الصحيح - إن صحّت نواياه - فى شهر رمضان ، فما سجدت الملائكة لآدم قبل ، نفخ الروح ، لسلالة من التراب ، ولكنها سجدت بعد النفخة من روح الله ، تلك التى سرت فى الكيان الإنسانى فاستحق بها أن يسموَ ، وأن تُسَخّرَ له صنوف الخلق الأخرى . وهنا تأتى أهمية شهر الصوم .. شهر الصبر، الذى يُمَكِّنُ الإنسان من السمو والارتفاع على الماديات ؛ لتفسح المجال أمام الروحانيات ، بالصوم والزهد ، والرحمة والإيثار ، وبالصبر على الطاعات ، وتلاوة القرآن والاستغفار(٢) .

عن سلمان الفارسى - رضى الله عنه - قال: خطبنا رسول

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخر يوم من شعبان فقال: "أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم ، شهر مبارك ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه .. فهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة " . أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣).

فالصيام يؤصّل فى المسلم فضيلة الصبر، والإرادة ، وقوة التحمل ، ومن ثم يجعله أكثر قدرة على ضبط انفعالاته وردود أفعاله ، وإكسابه مناعة ضد المعصية بشتى أنواعها ، فيقوى بذلك على مقاومة شياطين الإنس وشياطين الجن ونوازع النفس ، ولعل تلك بعض ثمار " لعلكم تتقون ". البقرة : ١٨٣ ولذلك فقد تواترت أحاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتؤكد هذا وتحفزه ، وتحض عليه ؛ حتى يخلص صيام المسلم من كل شائبة. يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الصدد: "من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه". رواه الشيخان ، وقوله صلى الله عليه وسلم: "الصوم جنة ، فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا

يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو شاتمه أو قاتله فليقل: إنى امرؤ صائم" . رواه الشيخان. وإذا كان صوم المرء على هذه الصورة الزكية النقية فمن كرم الله وفضله أن يعده بالغفران والرضوان ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " من صام رمضان إيمانا واحتسابا فقد غفر له ما تقدم من ذنبه ". رواه الشيخان. أما الحديث القدسى الذى تقدم ذكره ، والذى يفيد بأن الصوم لله تبارك وتعالى ؛ ومن ثم فإنه متروك لكرمه - سبحانه - ليجزى به ، فهو حقا نيشان على صدر المسلم الحق .

أما من الناحية الفسيولوجية: فإن الصبر والهدوء يكبحان جماح الغدد الصماء ، لاسيما غدتى الكظر ، فتعتدلان فى وظيفتيهما ولا تطلقان هرموناتهما ، خاصة هرمون الأدرينالين adrinalin الذى يؤدى - عند الغضب - إلى ثورة عارمة فى الجسم (جسم الإنسان وجسم الحيوان) تقلب الأمور رأسا على عقب ، ومن بين هذه التأثيرات: ارتفاع ضغط الدم ، وزيادة معدل ضربات القلب ، واتساع حدقتى العينين ، وارتفاع نسبة سكر الدم ، وزيادة تركيز الأحماض

الدهنية بالدم . وكل هذه التغيرات تطلق العنان لتفاعلات هائلة فى الجسم من شأنها زيادة الانفعال ، وتفاقم حالة الغضب والهياج ، مما يؤدى فى النهاية إلى افتقاد التروى ، الأمر الذى يؤدى إلى عدم اتخاذ القرار الصائب فى الوقت المناسب ، بل على النقيض من ذلك تؤدى هذه الحالة إلى ردود أفعال غير محسوبة العواقب ، قد تفضى فى أغلب الأحيان إلى الندم الذى لا يجدى أو يفيد . وقد يصاب المرء تحت هذه الظروف بارتعاش اليدين والشفتين ، وتلعثم فى الكلام إضافة إلى ما سبق ذكره من أعراض ؛ ولذلك يشير علم النفس الإكلينيكى الحديث ، على الأشخاص الذين يعانون من هذه الأعراض ، أن يواجهوا المواقف الصعبة والمخاوف المزعجة بمعاد خاوية(٤) .

أما الصوم ، وما يطبع الإنسان عليه من صبر وهدوء ودعة ، فيؤدى إلى تنظيم عمل الغدد الصماء وإطلاق هرموناتها ومن بينها هرمون الأدرينالين سالف الذكر ؛ ولذلك فقد أمرنا بالصبر تارة (٥) ، وجاء ثمرة من ثمار صوم رمضان تارة أخرى ، فهو دواء لأدواء كثيرة ، بل إنه الدواء

الذى يكفل الوقاية من الوقوع فريسة لأدواء وأمراض اجتماعية ونفسية وخلقية، وهو أيضا " فيتامين" الطاعات المختلفة ، يعين عليها، ويكفل للمسلم النصر فى مواجهة الشيطان ، ولذلك يقول النبى – صلى الله عليه وسلم –: " «الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان " ، وبهذا فإن تعوّد المسلم عليه يضمن له مسافة هائلة إلى منتهى الإيمان ، ورمضان بذلك فرصة عظيمة للتدريب والتمرين والتعود على هذه الخصلة النبيلة ، والقيمة الإيمانية العالية.

والمؤمن الكيس لابد له من أن يُعْمِلَ فكره ليفطن إلى أمور لا يدركها غيره ، فالمؤمن يرى بنور الله ؛ ولديه من الشفافية وقوة الحدس والفراسة ما يجعله ذا نظرة ثاقبة ، تخترق القشور لتصل إلى اللباب، وجواهر الأشياء. وعلى هذا النحو، فهو إذا نظر إلى صبره واحتماله الجوع والعطش ، وغيره مما أحل الله فى غير رمضان ، أفلا يكون الأوْلى له أن يصبر على ترك العادات الضارة ، فى رمضان وغيره من شهور العام ؟

ومن تلك العادات السيئة القاتلة للإنسان: التدخين وتعاطى

المخدرات والمسكرات ، على اختلاف أنواعها من منشطات ومهبطات ومنومات وغيرها مما يسبب الإدمان والإذعان. ومن بين العادات الضارة بالصحة : العشوائية فى تناول الطعام ، والإسراف فيه ، واختلال نوم الإنسان ، والمبالغة فى السهر ، فى غير طائل ، وبالجملة فقدان النظام والالتزام فى حياة المسلم ، وهنا أتذكر بعض القواعد الفقهية التى تقول: " إن ترك المعاصى مقدم على فعل الطاعات " ، وكلاهما بالقطع يحتاج إلى صبر وتَجَلّد ؛ ومن ثم فقد فرض الله علينا الصوم للصبر والإمساك ، فغض البصر ، وكف الأذى ، وإمساك اللسان ، وحفظ الفرج ، وكظم الغيظ ، وإيثار الغير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كلها خصال تحتاج إلى معاناة وصبر ، ولعل ذلك ما حدا ببعض السلف إلى تصنيف الصوم إلى درجات ، فهناك صوم العموم: وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ، وهناك صوم الخصوص: ويتضمن ، إلى جانب ما يتضمنه الصنف الأول ، كفّ السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام ، أما الصنف الثالث والأخير: فيتضمن ما ذكر فى الصنفين الأولين

إضافة إلى صوم القلب وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية.

وإذا كان ترك المعاصى والإمساك عنها يحتاج إلى صبر ، كذلك فإن المداومة على العبادات وفعل الطاعات يحتاج أيضا إلى صبر ، حتى أن الله تبارك وتعالى قال فى وصف المحافظة على الصلوات: "واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين " . البقرة : ٤٥ ، والله تعالى يعطى لكل حسنة جزاءها ويضاعف لمن يشاء حتى إذا ذُكر جزاء الصابرين قال: " إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ". الزمر : ١٠ .

والنتيجة النصر:

ولعله ليس من العجيب أو الأمر الغريب ، أن تتحقق معظم انتصاراتنا الكبرى ، على أعدائنا ، فى شهر الصبر هذا ؛ إذ إن انتصارنا على أنفسنا وعلى الشيطان فى شهر رمضان ، قد كانا سبيلنا الممهد وطريقنا السهل إلى انتصاراتنا على أعدائنا بقدرة الله تعالى. ومن جهة أخرى فالصبر الذى هو ثمرة الصيام هو من الأسس المكينة والأسباب الأكيدة للنصر، وقد جاء فى الأثر: أن "النصر مع الصبر" ؛ ذلك أن انتصار

الإنسان على ذاته ، وإسلام وجهه لله فى كل حركة وسكنة ، متصبرا عما يحبه ويهواه ، رجاء فيما عند الله ، كل ذلك يكون مدعاة لانتصاره عند مواجهته لأعدائه ، والواقع يؤيد ذلك ويصدقه ، فمعظم المعارك التى خاضها المسلمون فى رمضان كان النصر فيها حليفهم ، بدءا بمعركة بدر إلى معركة العاشر من رمضان. وربما لم تكن مصادفة أن يشرع صوم رمضان ، فى السنة الثانية للهجرة ، وهى السنة نفسها التى أذن الله للمسلمين فيها بالقتال ، وأن يخوض المسلمون فيها أول معركة ، فرّق الله فيها بين الحق والباطل ، يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان فى رمضان ، فى مواجهة عرفت بمعركة بدر الكبرى ، وذلك غداة السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية للهجرة المباركة . أما فتح مكة فقد تم أيضا فى رمضان من العام الثامن للهجرة ، وهو الفتح العظيم الذى تحطمت فيه الأصنام وثبت به الحق والصواب ، وزهق الباطل وتبخر السراب . وفى رمضان من العام الخامس عشر للهجرة المباركة فقد انتصر المسلمون على جحافل الشرك المجوسى فى بلاد فارس. أما فتح الأندلس بقيادة القائد

المسلم طارق بن زياد فقد تحقق أيضا فى رمضان من العام ٩٢ هجرية. وقد انتصر المسلمون أيضا فى رمضان من العام ٦٥٨ هجرية ، فى موقعة عين جالوت ، على جحافل التتار . وفى رمضان سنة ٦٧٥ هجرية هزم المسلمون بقيادة الظاهر بيبرس جيوش الصليبيين وطردوهم شر طردة.

أما آخر انتصارات المسلمين على أعدائهم ، فى العصر الحديث ، فقد وقعت فى العاشر من رمضان من عام ١٣٩٣هجرية ، الموافق للسادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م . نذكر ذلك للتاريخ ، ولكى يستقر فى أذهان ووجدان شبابنا ، أن فى التمسك بدينه وقيمه وتقاليده العربية وتربيته الإسلامية النصر والسلامة بإذن الله تعالى(٦).

الهوامش والتعليقات:

١ – د. محمد فتحي فرج بيومي (٢٠٠٢) : مدرسة الصوم بين الدين والعلم ، مجلة " منبر الإسلام" ، العدد رقم ٩ ، السنة ٦١ ، ص ٦٢ .

٢ – د. محمد فتحي فرج بيومي (٢٠٠٤) : رمضان صفاء للأرواح وراحة للأبدان. مجلة " التصوف الإسلامي" ، العدد ٣٠٩ ، ص ٢٠ .

٣ – طه عبد الله العفيفى (١٩٨٤) : من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ـ رضى الله عنهم . دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع، مصر . ص ٤٦.

٤ – د. غريب جمعة (١٩٨٢) الطب فى محراب رمضان . مجلة" الأمة " ، العدد ٢١، ص ٦٥ .

٥ – الصبر كما جاء فى " معجم ألفاظ القرآن الكريم " هو : حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، وقد وردت مادة " صبر" ومشتقاتها ، فى القرآن الكريم ، ١١٧ مرة. فالآيات التى تدعو إلى الصبر وتحض عليه كثيرة جدا نذكر منها : " فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل " الأحقاف :

٣٥ ؛ " ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور " الشورى :
٤٣ ؛ " والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة "
الرعد : ٢٢ ؛ " واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين "
هود : ١١٥ ؛ " .. والله يحب الصابرين " آل عمران : ١٤٦ ؛
" يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله
لعلكم تفلحون " آل عمران : ٢٠٠ .

٦ - د. محمد فتحي فرج بيومى (٢٠٠٢) : رمضان
ودروس فى التربية والسلوك . مجلة " الأزهر" الجزء التاسع ،
السنة ٧٦ ، ص ١٤٠١ .

الصيام والقرآن منهجان لتربية الإنسان

الصوم شأنه شأن العبادات الأخرى ، كالصلاة والزكاة والحج وغيرها ، وسيلة للتقرب إلى الله ، على الوجه الذى أمر به ، بما يؤدى إلى ثمرة غالية هى التقوى ، التى تتسق وتنسجم بها ومعها حياة الإنسان ، بالإقبال على كل ما يُرضى الله ، والابتعاد عن كل ما نَهى عنه سبحانه مصداقا لقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون". البقرة: ١٨٣ ، إلا أن للصوم - على وجه الخصوص - فى حياة المسلم ، مكانة فريدة ، وموقعا غاليا ، قد لا نلحظه بالدرجة ذاتها مع العبادات الأخرى ، فهو تجربة إيمانية وروحية وبدنية ، يعيشها الصائم المحتسب ثلاثين يوما متصلا ، بوعى وتقدير وإدراك لهذه العبادة ليلا ونهارا ، سرا أو جهارا ، يستوى فى ذلك كونه بين الناس أو فى أحواله التى لا يراه فيها إلا الله تعالى ؛ ولذلك تفرد الصوم بأنه لله تعالى وأنه الذى يجزى به.

وصوم رمضان هو رابع الأعمدة التى يقوم عليها البناء المُحكم للإسلام ، كما ورد فى الحديث الصحيح ، الذى رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - وجاء ذكره فى صحيح البخارى

فى باب الإيمان. ومن ثمَّ فمهما قيل من حِكَم الصيام السامية وفوائده الجمة ، فالمسلم يصوم رمضان أولا لأن الله تعالى أمره بصيامه ، بنص ما جاء فى الآية الكريمة: " فمن شهد منكم الشهر فليصمه". البقرة:من الآية ١٨٥ ، والشهر الوارد فى هذا الجزء من الآية الكريمة هو شهر رمضان ، الذى تحدثت عنه أول هذه الآية ذاتها ، والتى يقول فيها رب العزة: " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان". البقرة: من الآية ١٨٥ .

الصيام والقرآن منهجان تربويان لإصلاح الإنسان:

ومن استقرائنا السريع والمباشر للآية السابقة تتبين لنا العلاقة الوثيقة بين القرآن وصوم رمضان ، فكل منهما يرسم الطريق السوى المستقيم لحياة المسلم الحق ، بنسقين أو منهجين ، أحدهما فكرى عقلانى ممثل فى القرآن ، والآخر عملى روحى سلوكى ممثل فى صوم رمضان.

فالقرآن هو دستور ومنهج لهداية البشر ، حيث يقول الله تعالى ، موضحا مكان القرآن بالنسبة للإنسان: " إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ". الإسراء: من الآية ٩ .

والقرآن دواء وشفاء ورحمة للمؤمنين الذاكرين ، فقد جاء فيه من قول الله تعالى: " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين". الإسراء : من الآية ٨٢ . والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فيما رواه ابن ماجه والحاكم: " عليكم بالشفائين: العسل والقرآن". وقد ثبت أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قد استشفى بالقرآن ، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم قد استشفوا به أيضا ؛ مما يؤكد أن القرآن فعلا دواء وشفاء ، وهذا لا ينفى اتخاذ الطب والدواء ، وقد أمر بهما النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستعان بهما ، وهذا لا يدع مجالا للتأويل فى حمل الشفاء فقط على الأمور المعنوية والقلبية.

القرآن يُفَرِّج الكروب ، ويطرد الشياطين ، أما تفريج الكروب فيُروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله: " دعوة ذى النون إذ هو فى بطن الحوت من قول الله تعالى: " لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين". الأنبياء ٨٧ ، لم يدعُ بها مسلم ربَّه إلا استجاب له ". رواه الترمذى والنسائى فى: " عمل اليوم والليلة".

وأما أنه يطرد الشياطين ، فيكفى أن نذكر حديث النبى - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم: " لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة". وأما آية الكرسى ، فقد ورد أن «من قرأها إذا أوى إلى فراشه لا يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح».

أما بالنسبة للصيام ، فإن المسلم خلال شهر رمضان ، وبشكل تلقائى ، يعيد تنظيم حياته بالكيفية التى تُقرِّبه من الله تعالى. يبدو هذا فى المحافظة على الصلوات فى أوقاتها ، وفى المكان المفضل لأدائها وهو المسجد، أفضل بقاع الأرض، هذا من ناحية. ومن جهة أخرى، فإن طبيعة نشاطه وحركته ، فى مخرجه ومدخله ، تجعله يقترب أكثر من أهله ، ويتواصل بشكل منتظم معهم ، فى أثناء تناولهم لوجباتهم الغذائية ساعتى الإفطار والسحور ، وفى أوقاتها المحددة. ومن ناحية ثالثة يقترب أكثر من الناس ، سواء بمشاركتهم فى أداء بعض العبادات ، كالصلاة فى المسجد ، أو الاعتكاف لبعض الوقت فيه ، ومشاركتهم فى قراءة القرآن ، وتذاكر الحديث النبوى ، وتلقى بعض الدروس الدينية فى الفقه أو السيرة

أو التاريخ الإسلامى ، أو حينما يؤدى الزكاة أو صدقة الفطر للمحتاجين منهم ، وبهذا يقترب من الناس أكثر وأكثر ، بالمنهج الذى يُرضى الله تعالى.

وهذه التغيرات بهذه الاتجاهات ، تواكبها تغيرات أخرى على مستوى النشاط الجسمى من حيث اليقظة والنوم ، وتناول الطعام بشكل منتظم ، فى وقتين محددين ، كل هذا التغيير الإيجابى الحادث فى جو رُوحانى ، وفى زمن خاص من العام ، هو شهر رمضان ، الذى فضله الله تعالى على غيره من شهور العام ، وذلك لنزول القرآن الكريم فيه ، ذلك الدستور الإلهى الذى يحكم حياة المسلم ، ويُرَشِّدُ مسيرته فى هذه الحياة ، إلى جانب فريضة الصوم ، التى تسمو بروحه ، وتجعله فى مَعِيَّة خالقه - عز وجل. فالنبى - صلى الله عليه وسلم - حينما ترجم القرآن إلى سلوك يحكم حركة حياته فى جميع مناشطها ، فى مدخله ومخرجه ، فى حركته وسكنته ، فى مسلكه تجاه زوجه وأهله وجيرانه والناس أجمعين ، كان كما وصفته زوجه أم المؤمنين السيدة عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - خُلُقُه القرآن ، أو كان قرآنا يمشى بين الناس.

ومن ثمَّ فإن من يتنكب الطريق السوىّ ، ويُعرض عن هذا الدستور الإلهى وهو القرآن الكريم ، فإنه لن يجنى من ذلك سوى الضنك والعنت والعذاب ، مصداقا لقوله تعالى: " فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى". طه: ١٢٣-١٢٦ .

وكذلك رمضان .. فإن لم يقوّمْ ويُصَحِّح الصومُ من واقع المسلم ، ويضبط حركة حياته على المنهج الإلهى ، طبقا لما قرره الحق تبارك وتعالى ، من افعل ولا تفعل ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه أو شرابه! هكذا أخبرنا الحبيب المحبوب - صلى الله تعالى عليه وسلم.

ولذلك لم يكن مصادفة أن معظم المواجهات الكبرى ، لاسيما تلك التى حسمت أمورا كثيرة ، بالنسبة للدولة الإسلامية الوليدة ، كانت فى رمضان ، فحينما استطاع المسلمون أن ينتصروا على أنفسهم ، فى هذا الشهر الكريم ، باتباعهم منهج ربهم ، استطاعوا أن ينتصروا ويتغلبوا على عدوهم أيضا .

حدث ذلك وقت البعثة المحمدية، وتكرر على مدى التاريخ ، فى العهود المتتالية ، حتى عصرنا الحديث ، فقد وقعت فى العصر الحديث جولة أخرى بين مواكب الإيمان ، وجحافل الشرك والشيطان فى العاشر من شهر رمضان من عام ١٣٩٣هـ ، الموافق للسادس من أكتوبر من عام ١٩٧٣م. فلا عجب إذن أن يكون شهر الصيام هو شهر القرآن وهو أيضا شهر الانتصارات ، فإن الصوم نصف الصبر ، والصبر طريق للنصر.

وعلى ذلك ، فإن هذا الشهر المبارك فرصة لنعود فيه إلى أنفسنا ، ونتخلى ـ ولو بعض الشيء ـ عن ماديتنا الجامحة ، ونقرأ القرآن ، ونذكر مُنزل القرآن ، وعلى مَن نزل القرآن ، ومن استمعوا إلى القرآن فاهتدوا بهديه ، ودعوا بدعوته ، وملئوا الدنيا نورا وعلما وإيمانا وجهادا وعملا ، وحضارة لازالت أصداؤها تتردد شرقا وغربا حتى الآن!

ومن ثمَّ فالصيام والقرآن يتآزران فى إعادة ضبط إيقاع حياة الإنسان، على الوجه الذى يقربه من الرحمن، فتكون النتيجة شفافية روحية وراحة نفسية وجسمانية، وتناغما مع مفردات الكون، الذى خلقه الله تعالى من أجله ، وتصالحا مع

الأهل والإخوان والأصحاب والجيران ، وكل من يتعامل معهم من الناس جميعا.

رمضان فرصة عظيمة فاغتنموها:

فحياة المسلم تتغير تماما خلال هذا الشهر المبارك من نواح كثيرة ، لتصبح مضبوطة الإيقاع باتجاه عبادة الله تعالى ، قُرْبا من الخير المطلق ، وبُعْدا عن الشر ومصادره المختلفة ، كل أولئك يسهم في وضع الإنسان في أفضل موضع ، وفي تبديل حاله إلى أحسن حال ، فالامتثال لأوامر الله تعالى ، والتخلي والابتعاد بالكلية عن نواهيه ، كفيلان بإسعاد الإنسان في دنياه الفانية ، وفي أخراه الباقية ، فالله تعالى أعلم بنا من أنفسنا ، فهو القائل سبحانه: " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير". الملك :١٤ .

ومن جهة أخرى ، فثواب الأعمال الصالحة يتضاعف أضعافا مُضاعفة في رمضان ، وبذلك فإن من الحصافة والكياسة أن ينتهز المسلم الكَيِّسُ الفطِن ، هذا الشهر الكريم لينال جزيل الثواب من الله الكريم ، ولذلك فقد قرَّب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الصورة من نفوس رموز هذا المجتمع التِجاري ، الذي يعرف جيدا قيمة المكسب

والخسارة ،. بقوله صلى الله عليه وسلم : " خاب وخسر من أدرك رمضان ولم يُغفر له.." ، وقد ورد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا أن : " الصيام والقرآن يشفعان للإنسان" ، فهل يغتنم المسلم هذه الفرص العظيمة والمُغريات القيمة؟

رمضان أيضا فرصة طيبة للمدخنين الذين يضْعُفُون فى غير رمضان أمام السيجارة ، ويجدون من نهار رمضان حصنا يلوذون به من مخاطر التدخين ومضاره ، وبجهد يسير وعزيمة صادقة، وباللجوء إلى الله تعالى بصدق وإخلاص نِيَّة، فى هذا الشهر الكريم ، يمكنه أن يتخلص من ويلاتها ومضارها. وهو أيضا فرصة عظيمة للابتعاد عن أكل لحوم البشر والنَّيْل من أعراض الناس ، وتطهير النفس من أدران الخوض فى وهاد الرذيلة وأرجاس الزور ، لأن كل ذلك يأكل صيامه كما تأكل النار الحطب الجاف ، ولذلك فقد حذرنا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ذلك فى قوله: " من لم يدع قول الزور أو العمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه".

وهو أيضا فرصة للتسامح والتصالح مع من كان بينك وبينه بعض المناوشات الجارحة أو المناقشات الصاخبة ،

ولنأخذ مبادرة التصالح والتسامح من نصيحة نبينا – صلى الله عليه وسلم – ، حينما استحثنا عليهما بقوله : " .. وخيرهما الذى يبدأ بالسلام".

ورمضان أيضا فرصة عظيمة لصلة الأرحام ، التى أخذ رب العزة على نفسه العهد بشأنها ، مطمئنا إياها بأن من وصلها وصله ومن قطعها قطعه ، وقد ورد فى الأثر أيضا أن صلة الأرحام تطيل العمر وتوسع فى الرزق. ورمضان مُنَاسَبَة مُناسِبَة للتزاور والتواد والتراحم ، خاصة بين ذوى الأرحام ، لتعم الرحمة وتنتشر البركة ، ويخيم السلام على أمة الإسلام.

"صوموا تصحوا":

ومن كل ما تقدم يتبين لنا أن حياة الإنسان تستقيم باتباعه لمنهج الله تعالى سواء بالتزامه بما ورد فى كتاب الله تعالى القرآن الكريم، أو بطاعته لله تعالى فى صوم رمضان بالشروط التى وضعها النبى صلى الله عليه وسلم، لاسيما بعد أن عرفنا أن القرآن شفاء للنفوس والأبدان ، وكذلك صوم رمضان ففيه الوقاية وفيه صحة النفس والبدن أيضا ، وهذا يدحض ما يدعيه بعض الموتورين من مُدَّعى الثقافة . الذين يخالفون الفطرة السوية. ويتشيعون للأفكار

الوافدة والهدّامة ، ويتوشحون بأثواب الموضوعية الزائفة بينما يحركهم ، فى واقع الأمر ، شيطانُهم وتقليدهم لأسيادهم ، ممن يناصبون الإسلام العداء، ويدْعُون لنبذ الصوم الشرعى ، بدعوى ما يُسَبِّبُه من أضرار لجسم الإنسان ، تنعكس آثارها ـ فى زعمهم ـ بصورة سيئة على اقتصاد المجتمع وحيويته.

والحق الذى لا مراء فيه : أن العلم الحديث يؤكد عكس ذلك تماما حيث دحضت البحوث العلمية ـ المعتمدة على التجارب العملية ـ ما يزعمون . بل وأثبتت هذه البحوث فوائد لا تحصى للصوم من النواحى الصحية والحيوية والنفسية والمناعية ، ونحن بدورنا نقول لهؤلاء : كذبتم وصدق الله تعالى إذ يقول: " وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون". البقرة: من الآية ١٨٤ ، وصدق رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القائل: " صوموا تصحّوا ".

صوم رمضان وصحة الإنسان
فى ميزان العلم الحديث

ما إن يصدر هذا الكتاب ، ويصل إلى أيدى قرائه الكرام حتى يكون شهر الصيام قدر أظلهم بخير وسكينة وسلام. فهو كما علمنا رسول الإسلام ـ عليه الصلاة وأزكى السلام ـ شهر القرآن وشهر الصبر وشهر المواساة ، وهو شهر يُزادُ رزق المسلم فيه.

والرزق ليس كله مالا أو عقارا ، وكل ما من شأنه أن يمثل قيمة مادية! فقد يتمثل الرزق فى سعادة ونشوة روحية لا تعدلهما فى موازين الحياة أية ماديات. وقد يكون الرزق حالة من حالات الرضى النفسى والقناعة الذاتية ، وهى سر من أسرار الاكتفاء وامتناع الشعور بالفقر والحرمان. وقد يتمثل الرزق فى صحة جيدة ، يتلاشى معها الإحساس بمرارة الضعف والنقص والضعة.

وقد يتجلى الرزق الحقيقى فى توفيق الله للإنسان ، وتمكينه من أداء الطاعات والعبادات على الوجه الصحيح ، والتى هى فى واقع الأمر الهدف الأساسى من خلقه ووجوده، والتى يرضى بها ربُه عنه ، فيكون له خير الجزاء.

وكل هذه الأمور تتحقق للإنسان فى أجلى مظاهرها ، وأوضح معانيها فى شهر رمضان ، شهر الهدى والنور

والقرآن ، ومن ثمَّ فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُخبرُنا بأنه: "شهر يزادُ رزقُ المسلم فيه".

الصيام والعلم:

وإذا كان العلم هو لغة العصر الحديث وأداة المستقبل المأمول فى حلٍّ كثير من مشكلات الإنسان المعاصر على هذه الأرض ، وهو أولا وآخرا فيض من فيض علام الغيوب ، فمن العدل أن نرى كيف ينظر العلم إلى الصيام.

ومع هذا ، فلن نبتعد عن موضوعنا إذ إن محاولتنا ، فى هذه العُجالة ، للتأمل قليلا فى معنى خيْريَّة الصيام فى ميزان العلم ، ستكون من واقع قوله تعالى: "وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون". البقرة: من الآية ١٨٤ .

والعلم ، بمعناه الطبيعى ، يعنى تلمُّس الحقائق فى عالم الحس ، ومن أدوات العلم الرصد والقياس باستخدام الحواس ، ثم مُعالجة هذا القياس الحسى بالقوى العقلية المُدركة والمُعللة.

يقول واحد من علمائنا الأجلاء ـ فى قامة الدكتور أحمد زكى رحمه الله: نظر العلم إلى الصيام نظره إلى الجوع فى الجسم. ولم ينظر إليه نظرة الروح ، لا لأنه يؤمن بها ، ولا

لأنه يكفر بها. ولكن لأن الروح ليست من أمره ، ولا تقع في دائرة اختصاصه ، أو هي لم تقع بعدُ ، وليس ثمة مما ألِفَ العلم من أدوات المعامل ما يُعينُ على دراسة الروح. وكل هذا أشار إليه الخالق ـ جل وعلا ـ حينما قال لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مُحكم قرآنه: "ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا". الإسراء: ٨٥ .

ويستطرد الرجل قائلا: أما من حيث إن الصيام جوع فالعلم عدو البطنة ، وهو يقر بأنه ليس أعدى للإنسان من الطعام. والطعام عنده نافع ضرَّار ، وهو يؤمن بالحديث الشريف: "جوعوا تصحوا". وهو لا يؤمن بالجوع الذي يُميت ، وكذا لا تؤمن الشريعة.

وفي العلم أن الصيام حالة تهبط بها تفاعلات الجسم كلها ، وتفترُ مناشطُه ، ويظهر هذا واضحا في حرارة الجسم إذ يميل إلى هبوط. والصيام يستهلك ما في الجسم من ذخيرة. وأول هذه الذخيرة ما ادخره الجسم على هيئة نشويات ودهون .

ولقد حدثت حوادث كان الصيام فيها مُصادفة وكان غصبا ، كضلال في صحراء أو احتباس في منجم ، مهدت للعلم ظروفا ما كان يستطيعها تجهيزا وتحضيرا. أو ما كان

يجرؤ على إحداثها تعمُّدا. وتعلم العلم من هذه الحوادث الكثير. ومن هذا الذى توصل إليه العلم من خلال ذلك: أن الرجل قد يموت على الصيام الغصب ، أول ما يموت ، بسبب انخفاض درجة الحرارة. وهو يموت من البرد بسبب الصيام وفى جسمه بقية من ذخيرة. لهذا كان الدفء عونا للصائمين مغصوبين أو طائعين.

وفى العلم أن الجسم أكثر مقاومة للصيام الطويل الشديد على الريِّ ، وهو أقل مقاومة على امتناع الماء. فقد انهدم منجم على عماله وانسدت مسالكه ، وظل العمال فيه أحياء ، فوق ما كان يُنتظر لهم من حياة ، أسبوعا كاملا ، بسبب وجود الماء. وأخرجوا من حفرتهم وفيهم رمق من حياة بعد تسعة أيام كاملة!

وعرف العلم أنه إذا هبطت حالة الجسم بالصيام ، كان الطعام الكثير المفاجئ شرا قد يأتى بالموت. ومن أجلِ هذا وجبَ استئناف الطعام بعد الصيام تَدَرُّجا. وبهذا أشارت السنة النبوية المُطهرة.

وعرف العلم فائدة الصوم قبل الجراحات لأن الطعام قد يهوش وهو لا يريد بالجراحة تهويشا. وعرف العلم فائدة الصوم علاجا لبعض الأمراض ، وهو ينصح بتحديد الطعام ،

نوعا أو مقدارا أو بكليهما. ويسمى بعضهم هذا بالرِّجيم ، وهى كلمة فرنسية معناها القاعدة والقواعد ، والنظام والتنظيم.

ومما لا يسوغ فى رأى العلم أن يكون صيام بالنهار وتخمة بالليل ، فهذا من أضرِّ الأشياء ، وهو يجعل من الصيام مفسَدَة لجسم ومهزأة بروح.

ومما لا يسوغ في ذوق أن يكون في شهر رمضان ، وهو شهر الصيام ، شهر الطعام! فالصيام تدريب روحى ، والروح لا تدرب بالكذب. ولا ينفع فى تقويمها الخداع. ومن الكذب والخداع إذلال النفس بالنهار وتدليلها بالليل.

إن الصيام رقة أجسام ، وصفاء أرواح وتدعيم أخلاق. ورمضان شهر الإقلال للبذل عن كثرة ، والتضييق على الذات لتتسع الرقعة للغير ، ممن لم يعرفوا معنى السّعة قط. والصيام نظام شديد يأخذ به المرءُ نفسَه على الرضا وعن طواعية. وفى الصيام جزاؤه ولكن لا تستبينه كل النفوس!

وهناك الكثير والكثير من الفوائد الطبية ، والمنافع الصحية للصيام من جميع الجوانب ، مما يضيق عنه المقام فى هذا الفصل ، ومما ذكرنا بعضه فى ما تقدم من الفصول

السابقة ، ولا نريد أن نكرره هنا. وحسب القليل منه أن يغني عن الكثير. ولهذا فقد أخْبَرَنا قدوتُنا ومثلنا الأعلى ، الصادق الأمين ، مُبَلِّغ وحيّ ربّ العالمين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وصَدَقَنا حينما قال: " لو تعلم أمتي ما في رمضان من الخير لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان". وهذا بعض مما أشار إليه الحق - تبارك وتعالى - في قرآنه الكريم إجمالا حينما قال: "وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون". البقرة: من الآية ١٨٤ .

فإذا كان القرآن الكريم قد نزل منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، في الوقت الذي لم تعلم هذه الحقائق تفصيلا من الناحية الطبية والعلمية إلا في عصرنا هذا ، فإن سر الإعجاز في هذا الجزء من الآية الكريمة يكمُنُ في قوله تعالى " إن كنتم تعلمون". فحينما مكَّن اللهُ بعضا من عباده العلماء للكشف عن بعض أسرارها ؛ واستخراج بعض كنوزها ، كان ذلك مرهون بالتقدم في العلم بأمر العليم الأعلم؛ وعلى هذا ، فإن القرآن لن تنقضي عجائبه على مر الزمان ، فكلما تقدم العلم زاد فهمنا لمعطياته والكشف عن كنوزه وأسراره ، بقدرة الله تبارك وتعالى.

الصيام بين تراثنا الطبى والعلم الحديث

يقول خير من صام ، وخير من صلى وقام : " أتاكم رمضان ، شهر مبارك ، فرض الله عز وجل عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتصفد فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم الخير كله " رواه النسائى والبيهقى عن أبى هريرة.

فرمضان كما قلنا ، فى موضع غير هذا (١) ، مدرسة لتقويم النفس ، وتقوية البدن ، وإسباغ الراحة والصحة النفسية والجسمية على الصائم ، فضلا عما له من تأثيرات روحية وفيوضات ربانية لا يعلمها إلا من جربها . وعلى صعيد آخر فرمضان كما هو شهر الصيام فهو أيضا شهر القرآن ، الذى قال فيه حبيب الرحمن : " العسل والقرآن شفاء لكل داء إلا السام " ، وقال صلى الله علي وسلم أيضا : " عليكم بالشفاعين : القرآن والعسل".

وقد جاءت حكمة الأطباء المسلمين ، من كونهم فقهاء ، قبل أن يكونوا أطباء ، فكان الفقه الإسلامى يسبق العلم بإرساء الأسس الأخلاقية ، من فضيلة ورحمة وصبر وإيثار ونصيحة وتعفف (٢). وقد ركزوا على النفس اهتمامهم لا

على الجسم، فبالنفوس لا بالأجسام تُقوّمُ قيمة الإنسان ، ولله در القائل :

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران .
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان .

ولذلك فقد ألمح النبى - صلى الله عليه وسلم - لبعض الفوائد الطبية والصحية للصيام فقال ـ صلى الله عليه وسلم : "صوموا تصحوا" ، كما أثر عنه - صلى الله عليه وسلم - قوله أيضا : " ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسِه".

الصيام في التراث الطبى:

يقول الطبيب المسلم الشيخ الرئيس ابن سينا فى مقدمة كتاب النجاة: " إن أفضل الحركات الصلاة ، وأفضل السكنات الصيام ، وأرفع البر الصدقة .." .

أما ثابت بن قرة الحرانى ، عالم الفلك والرياضيات والطب والفلسفة ، الذى نبغ فى عهد المعتضد العباسى ، فيقول : "إن راحة الجسم فى قلة الطعام ، وراحة النفس فى قلة الآثام،

وراحة القلب فى قلة الاهتمام ، وراحة اللسان فى قلة الكلام ..".

والصيام فضلا عن كونه عبادة مفروضة ، من أفضل العبادات التى يتعبد بها المسلم ربه ؛ إذ إنه المحك الصادق لإخلاص المرء فى توجهه الصادق لله جل وعلا ، ومع ذلك فقد أفاض التراث الإسلامي بما حفل به من منافع أخرى للصوم وفوائده الصحية والجسمية من كل جانب ، وفى ذلك يذكر صاحب الطب النبوى(٣) فى مادة صوم : الصوم جُنّة (أى وقاية) من أدواء الروح والقلب والبدن ، فمنافعه تفوق الإحصاء ، كما أن له تأثيرا عجيبا فى حفظ الصحة ، ولاسيما إذا كان باعتدال ، وقصد فى أفضل أوقاته شرعا ، وحاجة البدن إليه طبعا . ثم إن فيه من راحة القوى والأعضاء ما يحفظ عليها قواها ، وفيه خاصية تقتضى إيثاره.

ويضيف ابن قيم الجوزية : وهو يدخل فى الأدوية الروحانية والطبيعية (٤) ، وإذا راعى فيه الصائم ما ينبغى مراعاته ، طبا وشرعا ، عَظُمَ انتفاع قلبه وبدنه به ، وحبس عنه المواد الغريبة والفاسدة ، التى هو مستعد لها ، وأزال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه ، ويحفظ

الصائم مما ينبغي أن يتحفظ منه ، ويعينه على قيامه بمقصود الصوم وسره وعلته الغائية ، فإن القصد منه أمر آخر غير الطعام والشراب".

الصيام والعلم الحديث:

وهذا الكلام صحيح جملة وتفصيلا ، حتى فى ميزان النقد العلمي ، وفى ضوء أحدث ما وصلت إليه علوم الكيمياء الحيوية وعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) والطب؛ إذ إن الصوم يمنح الجسم فرصة طيبة للتخلص من الأنسجة والخلايا والجزيئات الهرمة (الشائخة) ، أو قليلة الكفاءة ، كما يعمل أيضا على منح الجسم فرصة لتجديد جزيئاته ومكوناته الحيوية ، وترميم خلاياه وأنسجته التالفة أو استبدالها ، وذلك ليقوم الجسم بوظائفه بشكل أفضل ، وكفاءة أكبر فيؤدى ذلك إلى تجديد الحيوية والشباب ، وإطالة العمر الحيوى بقدرة الله عز وجل . هذا فضلا عن أن بعض التجارب العلمية الخاصة بتجويع الحيوانات المختلفة قد أسفرت عن حياة أطول لهذه الحيوانات مقارنة بمثيلاتها من الحيوانات التى لم تتعرض للحرمان من الطعام. ولعل هذه الفوائد الجمة والخيرات العظيمة هى بعض من فيض ثمرات قول الله

تعالى : " .. وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون" البقرة : من الآية ١٨٤ .

واللافت للنظر أن الله ـ تبارك وتعالى ـ قد شرط التيقن بحدوث الخير بالعلم والتقدم فيه : " إن كنتم تعلمون" ، أى كلما سار الإنسان فى العلم شوطا أطول ، تيقن من خيرية الصيام أكثر وأكثر!

ولذلك يذكر الثقات من الشهود العدول، ومن هؤلاء الدكتور رينيه جينو ، الذى أسلم وتسمى باسم الشيخ عبد الواحد يحيى فيقول : إننى تتبعت الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية ، والتى درستها ـ من صغرى ـ وأعلمها جيدا ، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأننى تيقنت أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى بالحق الصراح ، قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر. ولو أن كل صاحب فن من الفنون ، أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا ـ كما قارنت أنا ـ لأسلَمَ بلا شك ، إن كان عاقلا خاليا من الأغراض(٥) .

ومن الطريف أن بعض أطباء الغرب من غير المسلمين قد دعا إلى الصوم ، إلى جانب الغذاء الطبيعى والتزام الرياضة كعوامل مهمة من عوامل المحافظة على الصحة وتجديد الشباب ، وهو يقول فى ذلك : إن العادة الشائعة من تناول ثلاث وجبات من الطعام هى عادة غير طبيعية ، خاصة فى ظروف المدنية الحاضرة ؛ ذلك أنها تحمل الجسم بمقدار زائد من المواد التى تضر به أبلغ الضرر ، وأن وجود هذه المواد هو من أهم أسباب المرض ، لاسيما مع الإفراط فى الطعام والأغذية غير الصحية . وأكد على أن الصوم فترة ما يؤدى إلى إزالة هذه النفايات الضارة بالجسم ، وكلما اشتد الجوع بالصائم زاد احتراقها ، فكلما تخففت أجهزة الإخراج وخاصة الكلى من عبء طعام جديد ، فإنها تكون أكثر قدرة على التخلص من السموم والمواد الإخراجية المتجمعة فى الجسم. وهذا هو التجديد الصحيح لشباب وأعضاء الجسم بما فى ذلك الجهاز التناسلى ، فصحيح أن القوى الجنسية تخمد قليلا فى فترة الصوم ، بيْد أنها لا تلبث أن تنشط عقب ذلك نشاطا ملحوظا بعد عملية التجديد التى تترتب على الصيام.

الصوم أيضا علاج:

يذكر بعض الثقات من الأطباء أن فى الصوم علاج للكثير من الأمراض ومنها ما يلى:

- استطاع الصوم الطبى أن يعالج المصابين بقرحة الدوالى ، التى استعصت على الاستشفاء بكافة العلاجات ، بعد صوم قدره ثلاثة أسابيع.

- يعتبر الصوم الطبى أسرع علاج للمصابين بالتهاب الوريد ، إذ إن الشفاء يتم فى غضون أسبوعين فقط!

- أما مرضى ارتفاع الضغط الشريانى فيكفيهم صيام ثلاثة أيام حتى يبدأ الرقم بالانخفاض تدريجيا.

- أما المصابون بـ "حَبّ الشباب" acne ، فيكفيهم صيام أسبوعين حتى تعود بشرتهم نضرة ، وكأنه قد أجرى لهم عملية تجميل رائعة وناجحة.

- وقد عالج الطبيب شيلتون (٦) بالصوم الطبى المرضى المصابين بداء الصداف (الصدفية) فكانت النتيجة التحسن بنسبة تزيد على ٧٠٪ بعد صيام أربعين يوما . هذا فضلا عن أمراض أخرى كثيرة يضيق المقام عن عدّها ، بخلاف ما ستكشف عنه البحوث والدراسات العلمية والطبية ، فى المستقبل القريب والبعيد ، بما يؤكد مصداقية الحديث النبوى سالف الذكر : " صوموا تصحوا".

الهوامش والتعليقات:

١ – د. محمد فتحي بيومي(٢٠٠١). مدرسة الصوم بين الدين والعلم . مجلة " منبر الإسلام" ، عدد رمضان ١٤٢١هـ .

٢ – د. أحمد القديري (١٩٩٥). الإسلام وصراع الحضارات . كتاب الأمة القطري . ص ٩٤ .

٣ – ابن قيم الجوزية (١٩٨٣) . الطب النبوي . علّق عليه د. عبد المعطي قلعجي . دار الوعي . حلب. ص ٥٠٦ .

٤ – مما يعرف الآن بالعلاج الطبيعي ، ضمن برامج الطب البديل .

٥ – د. عبد الفتاح علي شحاته (ب.ت.) محمد رسول الله في مرآة الفكر الأجنبي.

٦ – د. محمود البرشة ، في مقدمته لكتاب : هـ . م. شيلتون (١٩٨٧) . التداوي بالصوم . الطبعة الثانية . دار الرشيد . دمشق ـ بيروت. ص ٩ .

الصيام من المنظور العلمى

للصيام مكانة متميزة بين العبادات الأخرى ، كالصلاة والزكاة والحج وغيرها ، فهو إلى جانب كونه فريضة من الفرائض التى فرضها الله تعالى على المكلفين من عباده ، فهو تجربة روحية إيمانية عملية ، يعيشها الصائم بكل جارحة من جوارحه ، وهو وسيلة للتقرب إلى الله ، على الوجه الذى أمر به ، بما يؤدى إلى ثمرة غالية هى التقوى ، التى تتسق وتنسجم بها ومعها حياة الإنسان ، بالإقبال على كل ما يُرضى الله ، والابتعاد عن كل ما نهى عنه سبحانه تعالى ؛ ولذلك فقد كتبه الله أيضا على الأمم السابقة ، كما أخبرنا فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون". البقرة: ١٨٣ ، ومن ثمَّ فهو معروف فى الديانات التى سبقت الإسلام. وهذا الأمر - من هذه الناحية - جدير بالملاحظة ، وجدير أيضا بالتأمل والتفكر والاعتبار.

الصوم ظاهرة فسيولوجية فطرية:

وإذا عرفنا أن الصوم عملية تمر بها معظم الكائنات الحية بشكل اختيارى مهما توافر الغذاء فى الطبيعة من حولها .

وليس الإنسان فقط . لأدركنا أنه يمكن اعتبار الصوم سنة كونية وظاهرة فسيولوجية فطرية . وليست مجرد عملية إرادية وتعبدية بالنسبة للإنسان وكفى . وعلى ذلك فهو ضرورى لجميع الكائنات شأنه فى ذلك شأن التنفس . والاغتذاء والنوم والحركة .. وهو يجدد شباب الكائن الحى . بل ويطيل من عمره . فهناك بعض الكائنات المفطورة على الصوم وقد تصل مدة صومها إلى سبعة أشهر . أو ما يزيد على ذلك . استجابة لعوامل بيئتها الطبيعية التى أوجدها الخالق تبارك وتعالى فيها . والصوم بهذا ضرورى لحياتها إلى الدرجة التى يمكن أن تلقى حتفها إذا ما عاقها عائق عن أدائه واستمراره لحين تحسن ظروفها البيئية . وعندها يمكن أن تنشط وتتناول غذاءها وتزاول نشاطها مرة أخرى .

الصوم يجدد الشباب ويطيل العمر:

أما قولنا إنه يجدد شباب الكائن ويطيل عمره فبيانه على النحو الآتى: تتم فى جسم الكائن الحى عمليتان كيموحيويتان متلازمتان . وذلك تحت الظروف الطبيعية من

توافر الغذاء والتنفس . وإنتاج الطاقة وخلافه ، وهما : عملية البناء anabolism وعملية الهدم catabolism .
أما الأولى فتحدث بكثرة فى المراحل المبكرة (مراحل التخلق والنمو) من عمر الكائن . إلا أنها تتم أيضا طوال حياة الكائن الحى لتعويض الخلايا التالفة والمستهلكة وكذا استبدال وتجديد الجزيئات الحيوية المتهالكة بل وتخزين بعض المكونات التى تعد بمثابة مخزون احتياطى للجسم . أو تكوين بعض المركبات النفاوية wastes تمهيدا لتخليص الجسم منها دون آثار جانبية سيئة على الجسم . أما العملية الثانية وهى عملية الهدم فعن طريقها يتمكن الجسم من التخلص من الخلايا الهرمة والمريضة والشاذة فى أنسجة الجسم المختلفة، وكذلك عن طريقها يتم نقض الجزيئات المتهالكة وهدم الجزيئات الغذائية المختلفة، حتى يتمكن الجسم من الحصول على الطاقة اللازمة لاستمرار وظائفه ومن ثم حياته. وعلى ذلك فالعمليتان مهمتان وضروريتان للكائن الحى وتحدثان فى كل لحظة من حياة جميع المخلوقات . ولكن معدل حدوثهما ليس ثابتا وإنما يخضع لظروف الكائن الحى.

فمثلا فى أثناء فترات الجوع أو الصيام فى شهر رمضان أو غيره يزيد معدل عملية الهدم لتزويد الجسم بالطاقة . وهذا من شأنه تمكين الجسم من التخلص من عناصره الفاسدة أو المتهالكة بسرعة وكفاءة بشكل يفوق مثيله فى أثناء فترات الشبع . وبعد تناول الطعام عقب الصيام أو الجوع فإن عناصر البناء تتوافر فيقبل الجسم على عملية البناء بمعدل مرتفع وكفاءة عالية.

والخلاصة أن الصوم يمنح الجسم فرصة ذهبية للتخلص من الأنسجة والخلايا والجزيئات الهرمة أو قليلة الكفاءة . ويعمل أيضا على منح الجسم فرصة لتجديد جزيئاته الحيوية وخلاياه وأنسجته التالفة . ليقوم الجسم بوظائفه بشكل أفضل وكفاءة أكثر مما يساعد على تجديد الشباب وإطالة العمر الحيوى بقدرة الله تعالى.

هذا فضلا عن أن بعض التجارب العلمية الخاصة بتجويع الحيوانات المختلفة قد أسفرت عن حياة أطول لهذه الحيوانات مقارنة بمثيلاتها من الحيوانات التى لم تتعرض للحرمان من الطعام. وجدير بالذكر أن الأمم السابقة تركت من خلال

التدوين والتسجيل ما يدل على قيام شعوبها بهذه الشعيرة المهمة وهى الصوم . فقد ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن قدماء المصريين كانوا يتَّقون الأمراض بالمحافظة على صحة أجسامهم بالصوم والمقيئات واستخدام الملينات . وذلك لاعتقادهم أن الجزء الأكبر مما يدخل فى الجسم من الطعام يزيد عن حاجته . وأن الأمراض تنشأ عن هذا الجزء الزائد عن الحاجة. ولهذا ، فقد دعا – حديثا – كثير من أطباء الغرب المتخصصين فى الشئون الغذائية أن الإنسان بحاجة إلى جانب الغذاء الصحى والرياضة إلى الصوم كعامل مهم من عوامل تجديد الشباب ؛ ذلك أن العادة الشائعة من تناول ثلاث وجبات من الطعام هى عادة غير طبيعية ، فى ظروف المدنية الحديثة ؛ لأنها تؤدى إلى تحميل الجسم بمقدار زائد من المواد التى تضر به أبلغ الضرر . والجدير بالذكر أن وجود هذه المواد هو من أهم أسباب المرض ، على الأخص مع الإفراط فى الطعام والأغذية غير الصحية ، وأن الصوم فترة ما يؤدى إلى إزالة هذه الزيادات الضارة بالجسم. وكلما اشتد الجوع بالصائم زاد احتراقها. وعندما تتخلص أجهزة

الإخراج وخاصة الكلى من عبء إفراز الطعام الجديد فإنها تكتسب القدرة على التخلص من جميع السموم المتجمعة فى الجسم. وهذا هو التجديد الصحيح لشباب جميع أنسجة وأعضاء الجسم بما فى ذلك الجهاز التناسلى. فمن الحق أن القوى الجنسية تجْمُدُ فى فترة الصوم ، بيْدَ أنها تنشط بعد ذلك نشاطا غير معهود فى عملية التجدُّد وإزالة السموم والنفايات ، التى تترتب على الصيام.

أهمية الغذاء:

يؤكد العلم الحديث على ما للطعام من أهمية بالغة فى تكوين جسم الإنسان منذ ولادته؛ لما له من وظائف بنائية وفسيولوجية وحيوية ، لا يمكن الاستغناء عنها بحال . ثم إن هذه الأهمية تزداد بتقدم العمر إلى أن يصل المطاف بالإنسان إلى مرحلة الشيخوخة . حيث يحتاج إلى أنماط ومقادير معينة من الغذاء . مما حدا بالباحثين والمتخصصين فى علوم التغذية إلى الاهتمام بالغذاء من الناحية النوعية والكمية ومن حيث ملاءمته لمختلف الأعمار والأعمال والظروف الفسيولوجية كالحمل والرضاع ، ومختلف الأمراض والأحوال الصحية والبيئية.

ومن الثابت أن أجسام بنى الإنسان وسائر الكائنات الحية تتألف من خلايا عديدة . وكل خلية منها تمثل كائنا حيّا يحتاج فى بقائه ونموه وصحته وقيامه بوظائفه إلى الغذاء . ومن ثمّ فقد أمرنا ربُنا - تبارك وتعالى - بأن نتناول الغذاء فقال: " وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا" . المائدة : ٨٨.

والمرء يستهويه الطعام اللذيذ وألوان الشراب المختلفة فيعُب منها . لا يبالى ما لبدنه وصحته عليه من حق . فليس كل طعام شهىّ صحىّ . ومن ثمّ فالاعتماد على أنواع معينة كالوجبات السريعة (التيك أواى) وما يشبهها ، والتى تتركز بها عناصر من النشويات والدهون وأنواع معينة من البروتينات ، ليست صحية بالمرة . فضلا عن أن هذا النمط من الغذاء يصاحبه عادة إغفال للخضراوات ، التى هى بالفعل صيدلية غنية بالفيتامينات والأملاح المعدنية ، وكذلك الفواكه التى تتركز بها أيضا هذه العناصر المهمة ؛ ولذلك قال ربنا فى كتابه العزيز: " كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى" . طه : ٥٤ .

فإذا استمر المرءُ على هذه الحال ، أحد عشر شهرا كل عام ، فليس ثمة بد من أن يصاب ببعض الأمراض والانحرافات ، فى صحته وسلامته الجسمية ، والتى تؤثر بالضرورة على صحته النفسية ، وصفائه الروحي. ومن ثم فقد كان رمضان وقفة حكيمة من لدن عليم خبير ؛ لرأب الصدع الذى أحدثه الإنسان بنفسه طوال العام ؛ ولذلك قال ربنا ـ جلّ وعلا: " وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون " البقرة: ١٨٤ ، وقال نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم: "صوموا تصحوا ".

أما من الناحية الكمية ، فإن الإسراف فى تناول الطعام له أضرار وخيمة ، بل ينجم عنه أمراض خطيرة كالسمنة وارتفاع ضغط الدم وأمراض الشرايين والقلب والبول السكرى والنقرس والتهابات الجهاز الهضمى لاسيما المعدة ، إلى غير ذلك من هذه السلسلة الطويلة من الأمراض التى ترتبط بالإفراط فى تناول الطعام بمقادير تفوق حاجة الإنسان. ومن ثم فقد كانت توصيات حكماء الأطباء منذ القديم وحتى الآن هى الاعتدال فى تناول مقادير الطعام ،

والتوصية بالصيام لفترات طوال من الوقت . بل إن المسلم ليلمس ذلك بنفسه عندما يصوم رمضان فيأتى فى آخر هذا الشهر الكريم وقد استراحت أعضاؤه وخفّ بدنه وصفت روحه . فكأنه بالصيام يداوى نفسه دون أن يتناول دواء ، فهو يتناول الطعام مرتين فقط وليس ثلاثا . وباعتدال دون إفراط . وهذه إحدى ثمرات اتباع منهج الله فى قوله تعالى: " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا " . الأعراف : ٣١، وأما البيان النبوى فقوله صلى الله عليه وسلم :" نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع" ، فإذا كان الأمر على ذلك فى غير رمضان . فماذا ينبغى أن تكون عليه الحال في رمضان؟

لابد من مراجعة للنفس:

والواقع الذى لا يمكن إنكاره بحال أن الاستهلاك الغذائى يزيد بحلول شهر رمضان فى ديار أمة الإسلام ، فهناك تكالب على الطعام والشراب والإسراف بوجه عام . على النقيض مما ينبغى أن تكون عليه الحال . وعلى عكس ما هو متوقع فى شهر يجب أن يجاهد الإنسان فيه نوازعه ، ويكبح جماح شهواته ، لتزكو نفسه وتصفو روحه.

فإذا كان الإنسان منا يستهدف من طعامه ، بعد مرحلة البلوغ ، إمداده بالمواد اللازمة لتعويض ما يتلف من خلايا جسمه ، وتزويده بالطاقة الضرورية لمختلف أنشطته ، من بناء وترميم وحركة وإفراز إلى غير ذلك من وظائف حيوية ، لا تختلف فى رمضان عنها فى غيره من شهور العام ، فإنه من التزيّد بل ومن الإسراف أيضا أن نجعل من رمضان فرصة لالتهام كل ما لذ وطاب ، وشرب كل حلو ومُذاب ، فهذه مشويات وتلك مقليات وأُخرى مُحمرات من الغذاء الدسم ، إضافة إلى الحلويات من الفطائر والشطائر والعصائر من مختلف ألوان الشراب ، إلى غير ذلك مما تضيق بها موائد الفطور والسحور، ويجعلنا نتساءل بكل موضوعية: أهو شهر صيام أم شهر شراب وطعام؟

تدلنا البحوث العلمية الخاصة بعلم وظائف الأعضاء أن الإنسان الطبيعى ، بعد تناول الطعام يمكنه اختزان ما يقرب من ٤٥٠ جراما من المواد الكربوهيدراتية على هيئة نشا حيوانى (glycogen) ، يتم استيعابها بشكل أساسى فى كل من الكبد والعضلات ، وإلى حد ما فى بعض الأعضاء

الأخرى . وهذه الكمية يمكن عند احتراقها تزويد الجسم بما يزيد على ١٨٠٠سعر حرارى تكفى الإنسان لمدة تزيد على ١٥ ساعة ، هذا بخلاف ما يتضمنه جسم الإنسان من دهون يمكن أن تنهض لتزويد الجسم بالطاقة عند اللزوم ، وذلك بعد نفاد المواد النشوية ، وعادة ، ومع الغذاء المعتدل المتوازن ، لا يلجأ الجسم لذلك ؛ نظرا لكفاية المواد الكربوهيدراتية ، تحت هذه الظروف ، للوفاء بالحاجات الطاقية energy requirements خلال تلك الفترة ، التى لا تزيد عادة على أربع عشرة ساعة ، فيما بين وجبتي الفطور والسحور.

إن الإسراف الذى يتواكب مع رمضان ورمضان منه برئ . ليس من مقاصده مطلقا. أما ما ينجم عن هذا الإسراف فيتمثل فيما يلى من مشاكل: مشاكل صحية (اعتلالات وأعراض وأمراض مختلفة ذكرنا بعضها) ـ مشاكل اجتماعية (أشارت بعض البحوث إلى حدوث مشاكل أسرية ، ومُشاجرات عائلية ، بل وحالات طلاق من كثرة المطالب مع ضيق ذات اليد من كثرة وتعدد أبواب المصروفات فى هذا الشهر!) ـ مشاكل اقتصادية (من ديون وقروض وبيع للمقتنيات بأقل من قيمتها ، وارتباك مالى) ـ

مشاكل جمالية (نتيجة الإسراف فى الطعام تحدث السمنة ، التى تُشوِّه الجسم وتسبب الترهل، وفقدان الاتساق الحركى ، والتوازن الجسمانى).

ونحن فى غنى عن كل هذه المشاكل باتباعنا تعاليم ديننا الحنيف . وفضلا عن كل ذلك فهذه الطاعة عبادة . ولنا بها ـ إن شاء الله تعالى ـ أجر. ليتنا نفهم .. ليتنا نعى. فهذا الشهر الكريم فرصة ذهبية ليراجع كل منا نفسه ويُعدِّلُ من سلوكه ؛ فنظفر بحب الله تبارك تعالى؛ ذلك أنه يقول:" إنه لا يحب المسرفين" الأعراف: من الآية ٣١ .

الصوم والصبر:

الصوم يؤصّل فى المسلم فضيلة الصبر ، والإرادة ، وقوة التحمل ، ومن ثم يجعله أكثر قدرة على ضبط انفعلاته وردود أفعاله ، وإكسابه مناعة ضد المعصية بشتى أنواعها ، فيقوى بذلك على مقاومة شياطين الإنس وشياطين الجن ونوازع النفس ، ولعل تلك بعض ثمار " لعلكم تتقون " البقرة: ١٨٣ ولذلك فقد تواترت أحاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتؤكد هذا وتحفزه ، وتحض عليه ؛ حتى يخلص صيام المسلم

من كل شائبة . يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الصدد: " من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه " رواه الشيخان ، وقوله صلى الله عليه وسلم: " الصوم جنة ، فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو شاتمه أو قاتله فليقل : إنى امرء صائم " رواه الشيخان . وإذا كان صوم المرء على هذه الصورة الزكية النقية فمن كرم الله وفضله أن يعده بالغفران والرضوان ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم:" من صام رمضان إيمانا واحتسابا فقد غفر له ما تقدم من ذنبه " رواه الشيخان . أما الحديث القدسى الذى تقدم ذكره ، والذى يفيد بأن الصوم لله تبارك وتعالى ؛ ومن ثم فإنه متروك لكرمه ـ سبحانه ـ ليجزى به ، فالعطاء هنا على قدر كرم المعطى تبارك وتعالى .

شهر القرآن

صومه عبادة للرحمن ووقاية للإنسان

الصيام رابع الأعمدة التى يقوم عليها البناء المُحكم للإسلام ، كما ورد فى الحديث الصحيح ، الذى رواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ وجاء ذكره فى "صحيح البخارى" فى باب الإيمان. ومن ثمَّ فمهما قيل من حِكَم الصيام السامية وفوائده الجمة ، فالمسلم يصم رمضان أولا لأن الله تعالى أمره بصيامه ، بنص ما جاء فى الآية الكريمة: " فمن شهد منكم الشهر فليصمه" البقرة:من الآية ١٨٥ ، والشهر الوارد فى هذا الجزء من الآية الكريمة هو شهر رمضان ، الذى تحدث عنه صدر هذه الآية ذاتها ، والتى يقول فيها رب العزة: "شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" البقرة: من الآية ١٨٥ .

الصيام يرتقى بإنسانية الإنسان:

ومن استقرائنا السريع والمباشر للآية الكريمة السابقة تتبين لنا العلاقة الوثيقة بين القرآن وصوم رمضان. فشهر رمضان قد شرفه الله تعالى بنزول القرآن فيه ، كما شرفه

أيضا بذكر اسمه خاصة فى القرآن الكريم. أما القرآن فهو منهج واف لإصلاح الفرد والمجتمع ودواء شاف لعِلَلِه وأدوائه.

وشهر رمضان هو أيضا الشهر الذى فرض الله تعالى صيامه على المسلمين. وهكذا يتلقى المسلم عطاء كتاب الله تعالى ، ومنهجه القويم وهو على أتم استعداد لذلك وهو صائم ، أىْ وهو فى قمة الروحانية والحرية والإنسانية : وذلك بتجرده من أغلال المادية ، المتمثلة فى مباشرة الشهوات ، لاسيما أقوى شهوتين لدى الإنسان والحيوان وهما : شهوة البطن وشهوة الفرج ، فالجنس والطعام مطلبان من أقوى مطالب الحيوان الأولية ، يعمل على إشباعهما بشكل غريزى ، ليُحقق بهما وجوده الذاتى والنوعى. يؤيد ذلك ما جاء فى وصف غير المؤمنين فى القرآن الكريم فى سورة الأعراف ، من قوله تعالى: " ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون" الأعراف: ١٧٩ وحينما لا يقرب المسلم الطعام والشراب والجماع طواعية ، طاعة لله تعالى ، وامتثالا

لأمره بصيام نهار رمضان ، فإنه بذلك يعلو على غرائزه ورغائبه ، ويرتقي بنفسه ويسمو بها عن مرتبة البهائم والأنعام ، التي لا تكف عن تلبية حاجات أجسامها استجابة لغرائزها ، وهي لا تستطيع ـ بحكم تكوينها وطبيعتها ـ أن تفعل سوى ذلك ، أما المؤمنون الطائعون المُتعَقلون فلِسان حالِهم حينما يأمرهم الحق تبارك وتعالى يردد على الفوْر: "سمعنا وأطعنا" البقرة: من الآية ٢٨٥، وذلك بقدرتهم على تحرير أنفسهم من مطالب الجسد ، ومن ثم انتصارهم على أغلال غرائزهم ، استجابة لأمر الله تعالى ، فاستحقوا تلك المكانة الرفيعة ، التي تسمو بهم فوق جميع المخلوقات الأخرى ، التي شبه الله تعالى غير المؤمنين ببعضها ، بل وأضل منها. ولذلك فإن للصيام مكانته الخاصة بين العبادات والطاعات ، حتى حينما يُكافأ المؤمن عليه يوم القيامة ، يؤكد ذلك الحديث الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه: " كل عمل ابن آدم يضاعف الله: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: " إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يَدَعُ شهوته وطعامه من أجلى" ؛ ولذلك كان أجر الصائم

عظيما ، يدل على ذلك ما رواه الصحابى أبو هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ، قال: " من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر". متفق عليه.

ويتوافق مع هذه الخصوصية ، التى آثر الله تعالى بها الصائمين دون غيرهم ، الحديثُ الذى رواه سهل بن سعد - رضى الله تعالى عنه - ، عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ، حينما قال: " إن فى الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يُقال : أين الصائمون ؟ فيقومون فلا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلِقَ ، فلم يدخل منه أحد" . متفق عليه.

وتأمل معى هذه الحقيقة التى تدعو إلى التأمل ، فمع تجرد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وارتفاعه على ماديات الحياة ، وتوجهه بكُليته إلى الآخرة ، سواء فى رمضان أو فى غيره من شهور العام ، فإن مُدارَسَة جبَريل عليه السلام القرآنَ للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت دائما فى رمضان،

فقد روى الإمام البخارى ـ رحمه الله ـ فى جامعه الصحيح ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُكثر فى رمضان من الطاعة والعبادة ، والذكر والاستغفار ، والدعاء ، والابتهال إلى الله العلى القدير ، فلرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود بالخير من الريح المرسلة".

التقوى والوقاية:

والصيام أيضا هو منهج متكامل لتربية النفس . شأنه فى ذلك شأن العبادات الأخرى ، التى تهدف إلى طبع الإنسان على التقوى . تلك الغاية التى تتوق إليها نفس المسلم وتهفو إليها روحه . وهذا الصوم هو أداة من أدواتها . فهو- كما يقول أحد المفسرين - مجال تقرير الإرادة العازمة الجازمة . ومجال اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد . كما أنه

مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها - كما أشرنا آنفا - واحتمال ضغطها وثِقلها . إيثارا لما عند الله من الرضا والمتاع . فالصيام كما نعلم يُضْعِفُ حدّة المادية ، ويوهِنُ تَسلّطها على الجسم ليترك الأخير لفيوضات الروح. وعلى ذلك فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يصفه كعلاج للنفوس المفتونة بفيض حيويتها ، فيقول - صلى الله عليه وسلم - لهؤلاء النفر وغيرهم: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر . وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ". أىْ وقاية وحماية ، وهى الغاية أو الهدف من الصيام كما قال ربنا - جل وعلا - فى قوله عز من قائل: " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون". البقرة: ١٨٣ والله تعالى قد أخذ على نفسه عهدا بأن من يتقيه لا يتركه يعانى مآزق الحياة وضغوطها ، ولكن يُخرجه من مآزقه ويفرج همومه ، فانظر إلى القانون القرآنى فى قوله تعالى: " ومن يتق الله يجعل له مخرجا". الطلاق:من الآية ٢ ،

وقوله تعالى: "ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا". الطلاق: من الآية ٤ .

أما وقاية الإنسان ، من حبائل الشيطان ، فيكفلها الله - تبارك وتعالى - للصائم القائم المحتسب ، لاسيما في شهر رمضان ، شهر النور والقرآن ، وحَسْبُك أن تتعرف إلى تجليات الله تعالى وفيوضاته الكثيرة ، على عباده الصائمين من خلال الحديث النبوى الشريف :" إذا جاء رمضان فُتِّحَت أبواب الجنة ، وغُلِّقَت أبواب النار ، وصُفِّدَت الشياطين ".

الصوم عبادة وصحة:

ومن جهة أخرى ، فإن الصوم - فى حد ذاته - وقاية وحماية للمسلم ، نستشف ذلك أيضا من قول رسولنا الكريم، الذى يحرص على كل ما فيه مصلحتنا ، وصحتنا ، ووقايتنا من مكائد الشيطان ، وأمراض النفوس والأبدان ، حينما قال - صلى الله عليه وسلم -: "صوموا تصحوا".

ولا حظ معى أيضا أن الخطاب موجه فى آية التكليف

بالصيام إلى المؤمنين ، فى قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ..". البقرة: من الآية ١٨٣ ، والله تعالى أيضا يقول: " إن الله يدافع عن الذين آمنوا". الحج : من الآية ٣٨ ، فمن أوجه دفاع الله تعالى عنهم - والله أعلم بمراده - أن يدفع عنهم غائلة الميكروبات والجراثيم ومسببات الأمراض المختلفة ، فهى أعدى أعداء الإنسان ، فضلا عن عدوهم الظاهر ، وعدوهم الخفى المتمثل فى الهوى والشيطان. وعلى النقيض من ذلك ، فإن من تنكبوا الطريق المستقيم ، ولم يمتثلوا لأوامر الله تعالى وابتعدوا عن عبادته من خلال إهمالهم أداء الفرائض المكتوبة ، قد أصابهم الهمُّ والقلقُ والاكتئاب ، وهى من أشد العوامل التى تعمل على ارتباك أجهزة المناعة لدى هؤلاء الأشخاص ، ومن ثمّ يُصبحون عُرْضَة ، وهدفا سهلا للإصابة بالأمراض المختلفة ، بسيطها وخطيرها على حد سواء. ومن المعروف طبيا وعلميا الآن أن للصيام الشرعى - إلى جانب كونه عبادة لله تعالى - فوائد طبية وصحية من نواح عديدة ، بعد أن أسهب المتخصصون

فى تقريرها ، فهو على سبيل المثال يفيد مرضى السمنة والتمثيل الغذائى، ومرضى القلب وتصلب الشرايين، كما يفيد أيضا فى تخفيف حدة الأمراض الجلدية ، كما أن له تأثيرا إيجابيا على بعض الحالات المرضية الأخرى كالبول السكرى ومرض النقرس (داء الملوك) ، كما يقوى أيضا جهاز المناعة كما ذكرنا آنفا ، وهذا قليل من كثير يضيق المقام عن حصره أو ذكره ، وصدق الله تعالى القائل فى كتابه الكريم: " وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون" البقرة: من الآية ١٨٤، والملاحظ أنه ـ تعالى ـ أناط معرفة خيرية الصيام بالعلم، الذى كشف مؤخرا عن فوائده وخيراته الكثيرة ، كما صدق رسوله الأمين القائل: " صوموا تصحوا" ، وليس لنا بعد قول الله تعالى وقول رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول أو تعليق.

رمضان فرصتنا لتحقيق الطمأنينة والأمن والأمان

رمضان شهر الصيام ، وشهر القرآن ، ينشط فيه المرء للعبادة ، ويُكثِرُ فيه من الذكر والدعاء فى كل حين وآن ، ابتغاء مرضاة الرحمن ، والله تعالى يقول فى قرآنه الكريم: "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب". الرعد: ٢٨ .

أما نعمة الأمن ، فهى من أجلِّ النِّعم التى أنعم الله بها على الإنسان ، ولهذا فقد مَنَّ الله تعالى بها على عباده المؤمنين الطائعين ، وذكَّرَهم بها ليزدادوا إيمانا وشكرا وعبادة لله تعالى ، حينما قال: "الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" . قريش: ٤ . فالأمن نعمة منحها الله لعباده المؤمنين الذين اختصوه بالعبادة الخالصة النقية من كل شرك ، مصداقا لقوله تعالى: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون". الأنعام: ٨٢ .

شهر الخيرات والبركات:

وقد كان رمضان شهر خير وبركة على نبى الإسلام محمد – عليه الصلاة والسلام – ، حيث أكرمه الله تعالى

وشرفه بالنبوة ونزول الوحى عليه فى هذا الشهر المُعَظم ، كما مَنَّ الله تعالى عليه وعلى المؤمنين به بالنصر المبين على المشركين فيه ، وقد أكرم الله تعالى رسوله وأكرم أمته كلها بفرضية صيامه ، وفرضية زكاة الفطر توْسِعَة على فقراءِ المسلمين ، وطُهْرَةً لعباده الصائمين ، كما أن فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، من قامها إيمانا واحتسابا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه ، وتلك مِنَحٌ عظيمة أختص بها الله تعالى أمةَ حبيبه محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ ولهذا فإن النبى عليه الصلاة والسلام وأمته ، يحملان لشهر رمضان من الذكريات العطرة والتقدير العظيم ، ما لا يُنسى على مرِّ الزمان.

تحنثه.صلى الله عليه وسلم.فى رمضان:

وصف الطبرى فى تاريخه ، بالجزء الثانى ، تَحَنُّث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فى غار حراء فى شهر رمضان فقال: "كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يجاور فى حراء من كل سنة شهرا .. والتحنث التّعَبُّد. فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجاور فى ذلك الشهر من كل

سنة ، يطعم من جاء من المساكين ، فإذا قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جواره من شهره ذلك ، كانت الكعبة أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله عز وجل فيه ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها ، وذلك فى شهر رمضان ..".

ونفهم من هذا أن رسولنا الأمين كان يخلو بنفسه فى غار حراء فى رمضان من كل عام ، ومعه القليل من الزاد ، فقد كان من طبعه القناعة والزهد ، فيقضى هذا الوقت فى التفكر والتأمل والعبادة فى الكون وخالقه ، بعيدا عن شواغل الحياة ومنغصاتها ، نائيا بنفسه عن ترف قريش ورذائلها الجاهلية ، مبتعدا عن ضلالاتها التى جعلتها تنغمس فى عبادة الأوثان ، وتبتعد عن عبادة الواحد الرحمن.

نزول الوحى فى رمضان:

وحينما بلغ محمد - صلى الله عليه وسلم - الأربعين من عمره، وهو سنُّ تمام النضج وكمال الرجولة ، وفى شهر

رمضان ، وفى غار حراء ، كان أول نزول الوحى على قلبه - صلى الله عليه وسلم - ، وبهذا بدأ شروق الإسلام ليبدِّد ظلام الجاهلية.

وقد ذكر الطبرى أن من المؤرخين من يحدّد هذا اليوم باليوم الثامن والعشرين من رمضان ، ومنهم من يحدده باليوم الرابع والعشرين ، ومنهم من يؤكد أنه نزل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، متخذين من ما نزل من قول الحق تبارك وتعالى قرينة ، حيث قال: "وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان" ، وهو وصف لقاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالمشركين فى بدر ، فقد كانت فى صبيحة سبع عشرة من رمضان ، وقد وافق هذا شهر يناير من سنة ٦١١ ميلادية. وقد حدد الطبرى أن أول نزول القرآن كان فى يوم الاثنين مستشهدا فى هذا بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما سُئِلَ عن صوم يوم الاثنين فقال - صلى الله عليه وسلم -: " ذلك يوم وُلِدتُ فيه ، ويوم بُعِثتُ أو أنْزِلَ علىَّ فيه ".

ولندعْ ابن هشام يحدثنا عن هذا اليوم الخالد على مدى

الزمان، حيث يقول: " حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التى بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ، ورحِم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى".

ويستكمل ابن هشام فى "سيرته"، لينقل لنا مشهدا عظيما فى ذلك اليوم وصَفَ فيه النبى – صلى الله عليه وسلم – كيفية نزول الوحى عليه – صلى الله عليه وسلم – ، فيقول: "فجاءنى جبريل ، وأنا نائم ، بنمط (وعاء) من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ. قلت: ما أقرأ. فغتنى به (أى حبس نفسى به) حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى ، فقال: اقرأ. قلت: ماذا أقرأ؟ فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال: اقرأ. فقلت ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى. فقال: "اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم". فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عنى ،

وهببت من نومى ، فكأنما كتبت فى قلبى كتابا ، فخرجت حتى إذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: "يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فرفعت رأسى إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل فى صورة رجل صافٍّ قدميه فى أفق السماء يقول: يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل. فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلتُ أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلت واقفا ما أتقدم وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رُسلها فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى".

ثم حدث ما حدث بعد ذلك بإخبار زوجه السيدة خديجة - رضى الله عنها -، وطمأنتها له - صلى الله عليه وسلم - ، وذهابها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصى، الذى طمأنها وبشرها بأن هذا يعنى أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - هو نبى هذه الأمة ، فقولى له "فليثبت".

وقد احتج ابن هشام بأن ابتداء نزول الوحى ، الذى

استمر طيلة ثلاث وعشرين سنة ، كان في شهر رمضان من قول الله عز وجل: " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان".

وقد نوه ابن هشام بما بذله النبى - صلى الله عليه وسلم - من جهود مشكورة في سبيل تبليغ ما نزل عليه من الوحى المبارك، حيث قال: " ثم تتام الوحى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله، وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم، والنبوة أثقال ومؤْنة، لا يحملها ولا يستطيع النهوض بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يلقوْنَ مِن الناس، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى. فمضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - على أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى".

رمضان شهر القرآن:

شهر رمضان هو شهر القرآن بكل معنى من المعانى ، بل إن بعض الفقهاء قد ربط بين فرضية الصيام ونزول القرآن

فيه ، فقد ذكر الإمام فخر الدين الرازى ـ فى تفسيره الكبير ـ أنه فى شهر رمضان نزلت هداية الله تعالى من السماء إلى الأرض ، فناسب ذلك أن يفرض فيه الصوم ؛ ذلك أن الصوم ، بما فيه من إمساك عن شهوتى البطن والفرج ، فيه علو من الأرض إلى السماء ، بالتجرد الروحى الذى كان فى الصوم. ولقد قال النبى - صلى الله عليه وسلم - فى هذا الشهر ، الذى هو احتفال بذكرى البعث المحمدى: "إن الله تبارك وتعالى فرض عليكم صيام رمضان ، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه احتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه". رواه ـ عن عبد الرحمن بن عوف ـ النسائى واللفظ له ، وأحمد فى مسنده ، وابن ماجه.

أى أن اختصاص شهر رمضان بالصوم ـ كما ذكر أيضا صاحب زهرة التفاسير ـ لأنه نزل فيه القرآن ، فيه تذكير بمبدأ الوحى ، واحتفال بأكبر خير نزل فى الأرض ، وهو بعث النبى - صلى الله عليه وسلم - ، فإنه نور الأرض وإشراقها، والاحتفال به احتفال بنعمة الهداية، ونعمة الخروج من الظلمات إلى النور، ونعمة إرسال نبى الرحمة،

فقد قال الله تعالى : " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " . الأنبياء : ١٠٧ .

وقد كان جبريل – عليه السلام – يلقى النبى – صلى الله عليه وسلم – فى كل ليلة من لياليه ليدارسه القرآن ، وكان النبى عرفانا بهذه النعمة الكبرى وحمدا لله عليها يكون فى ذلك الوقت أجود بالخير من الريح المرسلة ، طبقا لما جاء بالحديث الشريف: الذى رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس – رضى الله عنهما –: قال : " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة فيدارسه القرآن فلرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أجود بالخير من الريح المرسلة".

ولهذا فقد حثَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المسلمين على قراءة القرآن الكريم فى أحاديث كثيرة ، فهو دستورهم ومنهج حياتهم ، وفيه كل ما يُصلِح شأنهم ويُعْلِى قدرهم فى الدنيا وفى الآخرة ، ولهذا وردت الأحاديث التى

تحض على تعهده بالقراءة والمدارسة لاسيما فى رمضان ، حيث قرن النبى – صلى الله عليه وسلم – الصيام بتلاوة القرآن الكريم فقال فيما رواه أحمد والحاكم : " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام: أىْ رب منعتُه الطعام والشهوة فشفعنى فيه. ويقول القرآن: منعتُه النوم بالليل فشفعنى فيه. قال: فيشفعان".

وقد روى أبو أمامة – رضى الله عنه – أنه سمع النبى – صلى الله عليه وسلم – يقول: "اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه". كما روى ابن مسعود – رضى الله عنه – أنه سمع النبى – صلى الله عليه وسلم – يقول: "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف". كما روى عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال: "يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارتقِ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها".

الأمر بالعلم في رمضان:

رأينا فيما تقدم أن أول ما نزل من القرآن الكريم فى رمضان كان قوله تعالى: " اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم.". العلق: ١ـ ٥ـ.

واللافت للنظر هنا أن هذا الأمر الذى جاء بهذا الشكل المباشر والواضح لسيد الأنبياء وخاتم المرسلين ، من لدن حكيم خبير ، يعلم أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – أمى لا يقرأ ولا يكتب ، لَيَحْمِلُ دلالة ذات مغزى ، فالعلم الحقيقى هو طريق لمعرفة الله عز وجل، حينما تكون منطلقات هذا العلم فى إطار الإيمان بالربوبية ؛ ومِن ثمَّ فى كنفها وتحت رعايتها، فكان هذا توجيها منه سبحانه لِيُذكَرَ اسمُه سبحانه فى كل أمر ذى خطر، والمعنى أن يُعرض هذا الأمر على الضوابط والمقاييس الربانية ولا يخرج عنها ، والله تعالى يريد الخير لعباده فمنه يأتى الخير المطلق ، كما ينهى عن الشرور والآثام وكل ما من شأنه يضر بالإنسان.

"اقرأ" منهج حياة:

ويقرر الشيخ النوراني د. عبد الحليم محمود أن: "اقرأ باسم ربك الذى خلق" ، أول مانزل من القرآن الكريم ، ليست فقط مجرد آية من آيات القرآن الكريم ، ولكنها منهج حياة ، وشعار واضح للأمة المسلمة. و "اقرأ" ، هذه المادة الأولى فى الدستور الإسلامى غنية بالمعانى ، ثرية بالتوجيهات ، ومعانيها وتوجيهاتها ليست آتية من ألفاظها فحسب وإنما هى آتية من الجو العام الذى تشير إليه أو الذى توحى به. فهى تبتدئ أولا بكلمة "اقرأ". إنها تأمر بالقراءة التى هى ألزم وسائل العلم والمعرفة وأهمها ، ويتسم الإسلام لأول لحظة زمنية من حياته ومن أول كلمة فى كتابه بسمة العلم. وتتوالى بعد ذلك الآيات موضحة ومؤكدة هذه السمة جاعلة منها طابعا وشعارا.

وإذا كانت الآيات الأولى التى نزلت من القرآن فى الليلة المباركة قد أمرت بالقراءة مرتين ، وذكرت مادة العلم ثلاث مرات ، وذكرت القلم ، فإن الآيات التى نزلت بعد "فترة"

الوحى (فى حديث: كيف كان بدء الوحى ، وَرَدت جملة "وفتَرَ الوحى") ، بدأت بحرف من حروف الهجاء : "نْ" وتضمنت أول قسم أقسم به الله سبحانه فى القرآن وكان هذا القسم بالقلم: " ن والقلم ومــا يسطرون". القلم : ١ . ثم تتـــوالى الآيات القرآنية فى فُضل العلم ، وفى الحث على التعلم وفى تمجيد العلمـاء. وقد أمـر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يلجأ إلى الله متضرعا أن يزيده علما: "وقل رب زدنى علما". طه: من الآية ١١٤. وهذا الدعاء من أروع الأمثلة فى التربية ؛ ذلك أنه صـادر من الإنسان الكامل يُبيِّن للأمة أن الإنسان ، مهما بلغت منزلته ينقصه الازدياد من العلم ، وتصور زعيم أمة تُكبِرُه وتُجله يعلن فى صراحة لا لبس فيها أنه مازال ـ ولن يزال ـ بحاجة إلى الزيادة فى العلم : إنه يدفع الأمة بذلك ـ الأمة التى تجله ـ على السير على منواله فترجو أن يزيدها الله علما.

حكمة الصيام ومنزلة ليلة القدر
عند الإمام الدكتور عبد الحليم محمود

الإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود ـ طيب الله ثراه ـ من الأئمة العلماء العاملين ، الذين اختصهم الله بكرمه ، وقد زهد في الدنيا فأتته صاغرة ، وأحاطه الله بهالة من المهابة المعطرة بأريج الحب والقبول ، فأحبه الناس واحترموه ، فما قدر على الاجتراء عليه أو إحراجه صاحب جاه أو سلطان، وظل صاحب الكلمة الأولى في أمور الدين ، طيلة فترة شياخته للأزهر الشريف ، إلى أن قبضه الله واختاره إلى جواره ـ أجزل الله له العطاء وجزاه الله كفاء ذوده عن حياض الإسلام خير الجزاء . وعلى الرغم من أنه كان أستاذا للفلسفة بكلية أصول الدين ، وألف فيها المطولات فإنه كان أيضا من أئمة التصوف البارزين في القرن العشرين ، وقد ظهر أثر ذلك على مؤلفاته فقد كان ـ رحمه الله ـ يغوص إلى المعانى المستترة وراء الأمور الظاهرة وإلى بعض الأسرار والأفكار الخفية والمعانى اللطيفة التى تدق على أفهام الكثيرين تارة ، وقد يمرون عليها مرور الكرام تارة أخرى . بل إن اتجاهه ذاك قد ظهر أثره في عناوين كتبه من مثل :

- القرآن فى شهر القرآن .
- أسرار العبادات .
- الحمد لله هذه حياتى ،
- الإسلام والإيمان .
- القرآن والنبى .
- قضية التصوف الإسلامى .
- إحياء المفاهيم الإسلامية .

وغير هذا من الكتب ، منها المُؤَلف ، ومنها المُحَقق ، ومنها المُتَرْجَم .

حكمة الصيام فى فكر الإمام:

فى كتابه صغير الحجم عظيم القدر بعنوان "أسرار العبادات فى الإسلام " تحدث الشيخ عن "حكمة الصوم بين الأوهام والحقائق" حديثا عذبا غير تقليدى ، فبعد أن سرد آراء بعض الكتاب والمفكرين ، مع بعض التعقيبات المقتضبة والتعليقات النقدية التى يسوقها فضيلته على هيئة إشارات لطيفة يفهمها القارئ من بين السطور ، يقول : حينما نتحدث عن الصوم نتجه إلى الآيات القرآنية التى تحدثت عن الصوم ، فنستلهمها الحكمة وفيها ، لو تأملنا ، الحكمة واضحة ، فى

تعبير غاية فى الدقة ، يقول الله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" .

فى هذه الآية ، يحدثنا الله ، سبحانه وتعالى ، أنه كتب علينا الصيام وفرضه ، لغاية معينة ، ذكرها فى قوله : " لعلكم تتقون " . وعبر القرآن بكلمة " لعل" ولم يقطع ولم يجزم بأن ثمرة الصوم لا محالة ، تحقق التقوى ؛ لأن الصوم : يعد نفس الصائم للتقوى .

إنه إعداد وتهيئة ، إن مثله ـ بالنسبة للصائم ـ كمثل زارع تعد له الأرض وتهيأ ، وتعطى له محروثة ، لا حشائش فيها ، مهيأة تمام التهيئة ، وما عليه إلا أن يتصرف حسبما يريد ، فإن شاء ، ألقى فيها البذر ، ثم تركه يذبل ويموت ، وإن شاء تركها مهملة ، تنمو فيها الحشائش الخبيثة من جديد ، وتعود تربة غير صالحة ، وإن شاء ألقى فيها البذر وتعهده ، حتى يترعرع ويستوى على سوقه ، ويؤتى أكله . كل هذا منطو فى جملة : " لعلكم تتقون " . فإذا ما تعهد الإنسان نفسه ، التى أعدت بالصوم ، وانتهى إلى التقوى ، كان جزاؤه ، حقيقة عند

الله ، عظيما . ومن هنا مفتاح فهم الأحاديث التى رويت فى الصوم ، والتى لا تفهم فهما حقيقيا إلا إذا راعينا أن الصائم، يتعهد نفسه التى مُهدت وأعدت بالصوم.

ثم يروى الحديث الآتى: طلب أبو أمامة من رسول الله ، - صلى الله عليه وسلم - ، يوما أن يأمره بعمل ينفعه الله - تعالى - به فقال - صلى الله عليه وسلم - : " عليك بالصوم فإنه لا عِدْلَ له ، فكرر له أبو أمامة الطلب ، فقال - صلى الله عليه وسلم : " عليك بالصوم فإنه لا مِثْل له " وطلب أبو أمامة، للمرة الثالثة ، نفس الطلب ، فقال - عليه الصلاة والسلام - ، أيضا نفس ما قاله فى المرة الثانية ".

ولا شك ، أن الصوم ، لا عدل له ، ولا مثل له ، فى تهيئة النفوس للتقوى ، ومن انتهى بهذه الهيئة إلى غايتها ، و" صام رمضان إيمانا واحتسابا : غفر له ما تقدم من ذنبه " . ومن هنا كان المعنى العميق ، للحديث المشهور : " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به " . وقد فهم الناس أن الله يجزى على الصوم باستمرار جزاء يزيد على سبعمائة ضعف ، وهذا صحيح ، فيما يتعلق بمن تعهد نفسه

واتقى ، أما من لم يتعهد نفسه ، ولم يتق ، فتصدق فيه الأحاديث الأخرى ، التى لا تفهم فهما صحيحا إلا على ضوء ما قدمنا ، يقول الرسول ، - صلى الله عليه وسلم - : " كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش " رواه النسائي وابن ماجه . ولا ينتهى الصوم إلى ثمرته التى أرادها الله من التقوى، إلا إذا صدقت النية وقويت العزيمة (١) .

ومن رأى الشيخ أيضا : أن الإنسان إذا ما وطّن نفسه على الصلاح والخير، بعد أن مهّد له الصوم السبيل إلى ذلك ، وأعده ليسير فى سهولة ويسر على الصراط المستقيم : فقد فاز بثمرة الصوم المرجوة ، وهى التقوى . والتقوى هى تجنب المعصية الكبرى ، التى لا يغفرها الله قط وهى الشرك بالله ، وكذلك تجنب ما دونها من المعاصى وهذا جانبها السلبى . أما جانبها الإيجابى : فإنه القيام بكل واجب افترضه الله تعالى .

ثم يقول : وإذا ما حقق الإنسان التقوى ، فقد فاز ، ودخل فى نطاق الآية الكريمة : " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى

الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم " يونس : ٦٢ - ٦٤ .

ثم يذكر - فضيلته - الحكمة الثانية التى من أجلها فرض الله الصوم فيقول : تتمثل هذه الحكمة فيما يمكننا أن نلتمسه فى قوله تعالي : " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه " البقرة : من الآية ١٨٥ . فقد أمر الله بالصوم بعد أن ذكر أن هذا الشهر الكريم نزلت فيه الهداية الكاملة ممثلة فى القرآن ، فكان لا بد أن نحتفل به ، والاحتفال بشئ ما ، إنما يكون بما يتناسب معه ، فالاحتفال بالهداية ممثلة فى القرآن ، إنما يكون بما يعد النفس ، ويمهدها ، لاستقبال هذه الهداية على خير ما ينبغى : وذلك بالصوم . فكأننا بالصوم إيمانا واحتسابا نصل إلى مستويات من شفافية النفس وتطهيرها وتزكيتها ، فتتنسم هدى السماء وتتشربه ، وتمتزج به فرحة مغتبطة ، فتفهم فى عمق قول الله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا " المائدة : من الآية ٣ .

ثم ينتهى إلى الحكمة الثالثة من فرضية الصوم فيقول : إننا نتلمسها فى قوله تعالى، مختتما بعض آيات الصوم: "ولتكبروا الله على ما هداكم، ولعلكم تشكرون" البقرة: من الآية ١٨٥ .

فقد فرض الصوم ، لننتهى منه ونحن في رحاب الله مغتبطين مستبشرين ، فقد تزكت منا النفوس ، وتطهرت منا الأفئدة ، فيترتب على ذلك أن نكبر الله ونحمده على هدايته السماوية أولا ، وعلى توفيقه لنا بإتمام الصوم ثانيا ، ونشكره على كل ذلك فيزيدنا ـ سبحانه ـ بهذا الشكر هداية وتوفيقا : " لئن شكرتم لأزيدنكم " إبراهيم : من الآية ٧ . ومما له مغزاه العميق ، أنه فى ثنايا هذه الآية الكريمة التى تتحدث عن الصوم وتوجهنا إلى التقوى ، وإلى تكبير الله ، وإلى الشكر ، يخاطب الله رسوله ، – صلى الله عليه وسلم – فجأة ، فيقول : " وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون". البقرة : ١٨٦ . ولا ريب أن النفوس إذا صامت إيمانا واحتسابا ، وتزكت وتطهرت والتزمت التقوى ، وكبرت الله وشكرته: إنما هى نفوس قريبة من الله ، إذا دعته

استجاب ، وإذا استلهمته الرشد والصواب ألهم ، وإذا استهدته هدى (٢) .

أرأيت إلى هذه النظرات الثاقبة ، والوقفات الذكية ، التى تغوص إلى أدق المعانى ، دون أن تفصلها فى الوقت ذاته عن السياق العام ، فهى نظرة استشرافية فاحصة مدققة ، فى إطار من الشمولية مراعاة للجو العام المنسجم بعضه مع بعض ، سواء في آى القرآن أو الأحاديث الشريفة فكلها من لدن حكيم خبير .

ليلة القدر:

وننتقل إلى منطقة أثيرة لدى شيخنا الجليل تتعلق فيما بين رمضان والقرآن من علاقات ووشائج وهو القائل : إن قراءة القرآن فى رمضان من أسمى القربات (٣) ، وهى تتناسب مع جلال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، والله سبحانه وتعالى يقول : "إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم " الإسراء : من الآية ٩. فميزة شهر رمضان الضخمة : أنه أنزل فيه القرآن ، ولقد كان رسول الله ، - صلى الله عليه وسلم -: معنيا دائما بالقرآن ، ولكنه كان يعنى عناية خاصة به فى هذا الشهر

المبارك ، وكان يلقاه جبريل، فى كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن (٤) .

يقول الله تعالى : " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " البقرة : من الآية ١٨٥. ويقول سبحانه: " إنا أنزلناه فى ليلة القدر " القدر : ١. وليلة القدر إذن هى فى شهر رمضان ، أخذا من هذه النصوص الكريمة .

ويخبر ، سبحانه، عن هذه الليلة: أنها خير من ألف شهر ، إذ تنزل الملائكة والروح فيها ، بإذن ربهم من كل أمر.، وهى فضلا عن ذلك ، سلام يستمر من غروب الشمس حتى مطلع الفجر.

ومن أجل هذا الفضل العظيم ، كان رسول الله ، - صلى الله عليه وسلم - ، يستعد لها بالعبادة ، ويهيئ الجو الروحى المناسب لنزول الملائكة والروح ، والمناسب للسلام القلبى الذى هو ثمرة التوبة والإنابة والتقوى ، والذى هو اطمئنان النفس إلى الله ، فيخاطبها سبحانه ، خطابا تفهمه : " يا أيتها النفس المطمئنة : ارجعى إلى ربك ـ فى هذه الدنيا وفى الآخرة ـ راضية عن الله ، مرضية منه ، فادخلى فى عبادى

عاجلا ، وادخلى جنتى آجلا» .

وكانت التهيئة التى يقوم بها ، – صلى الله عليه وسلم – ، استعدادا لشروق نور هذه الليلة الشريفة : إنما هى الاعتكاف؛ كان ، – صلى الله عليه وسلم – ، يعتكف عادة فى العشر الأواخر من رمضان ، فيدخل المسجد قبل غروب شمس اليوم العشرين من الشهر المبارك : يدخل متفرغا للعبادة ، متجها إلى الله بكل كيانه . وما من شك فى أن الاعتكاف فى المسجد ، يهيئ الجو لجمع الخواطر ، ويهيئ الصفاء القلبى ، فيتفرغ الإنسان للطاعة ، متشبها بالملائكة ، ويتعرض بذلك لليلة القدر، وقد كان ، – صلى الله عليه وسلم–، يحث الصحابة على هذا الاعتكاف ويشجعهم عليه ، التماساً لمرضاة الله ، وتعرضا لإشراق ليلة القدر(٥) .

المراجع والهوامش :

١ - د. عبد الحليم محمود (١٩٦٦) : أسرار العبادات فى الإسلام . الدار المصرية للتأليف والترجمة . ص٨٢ .

٢ - المصدر السابق ، ص ٩٠ .

٣ - د. عبد الحليم محمود (١٩٦٩): القرآن فى شهر القرآن. كتاب اليوم . مصر . ص ٤٢ .

٤ - المصدر السابق رقم ١ ، ص ٩٤ .

٥ - المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

ليلة القدر

بين الأستاذ العقاد والشيخ محمود شلتوت

يُروى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : " ألا إن لله فى أيام دهركم لنفحات ، ألا فتعرضوا لها " ، ومن أفضل شهور العام شهر رمضان ، ومن أعظم النفحات والمنح الإلهية فى هذا الشهر الكريم : ليلة القدر ، تلك التى وصفها ربنا ـ جل وعلا ـ بأنها خير من ألف شهر ، وذلك فى سورة سميت باسمها فى قوله تعالى : " إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر" القدر : ١ـ ٣ .

اسم وصفة:

قال الله تعالى : " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن" البقرة : ١٨٥ وقال تعالى : " إنا أنزلناه فى ليلة القدر" القدر: ١ . وفى هذا يقول الإمام السيوطى ـ رحمه الله : والأصح الأشهر أن القرآن الكريم نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجما ، أى مفرقا فى عشرين سنة أو ثلاثة وعشرين أو خمسة وعشرين على حسب الخلاف فى مدة إقامته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة بعد البعثة (١).

وكأن هذه الليلة المباركة قد حازت هذا الشرف العظيم ، وهذا القدر الكبير ، لعلة ظاهرة وهى تشريفها بنزول القرآن الكريم فيها ، آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل ، لأشرف الأمم. وفى ذلك يقول السيوطى : ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع ، لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ، ولكن الله باين بينه وبينها ، فجعل له الأمرين: إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقا تشريفا للمنزل عليه - صلى الله عليه وسلم - (٢).

التقدير الصحيح لهذه الليلة بين العقاد وشلتوت:

ويتعرض فضيلة الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - لمعنى " القدر" فيقول : تجيء سورة "القدر" وتذكر هذه الليلة ، وتخلع عليها صفة القدر والشرف ، التى هى صفة القرآن عند الله : " إنا أنزلناه فى ليلة القدر " القدر : ١ . وإذا كان معنى الإنزال والتنزيل يتعلق بالقرآن الكريم ، فليس من السهل أن يكون المراد بالليلة المباركة غير الليلة التى أنزل فيها القرآن ، كما أنه ليس من السهل أن يكون المراد بالقدر غير الشرف الذى اكتسبته الليلة من نزول القرآن فيها ، وعلى الرغم من

ذلك يقال: إن الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان ، وإن القدر هو تحديد ما يجريه الله على عباده من الأرزاق والأعمار والأحداث الكونية ، وأين هذا من جو الآيات التى ذكرنا وأين هو من موقف القوم فى شأن ما فوجئوا به من خطاب الرسالة والوحى(٣) ؟

أما الأستاذ العقاد ، فله فى عدد " الهلال " ، الصادر فى رمضان الموافق لمارس من عام ١٩٦١، مقال بعنوان : " ليلة القدر" ، ينكر فيها سلوك بعض المتنطعين الذين يطلبون من السماء أن تحقق مطالبهم بغير أسباب وكأنها ليلة الفرص أو " الأوكازيون "! فالمسلم يعود إلى إسلامه الصحيح كلما احتفل بليلة القدر ، وهو يذكر أنها ليلة فرقان وحساب ، وأنه يدعو الله فيها ليشرف بما شرفته به الليلة المباركة من آيات التقدير والتذكير.

ويقول العقاد بشأن شرف هذه الليلة وعلو قدرها ما يلى : فهى ليلة القدر لأنها ليلة التقدير والتمييز بين الخير والشر ، والتفريق بين المباح والمحظور ، والأمر بالدعوة والتكليف ، وهو أشرف ما يشرف به الإنسان ؛ لأنه هو المخلوق المميز

بالتكليف والمخصوص بالتمييز بين جميع المخلوقات ، ومن أجل هذا فضل على الملائكة لأنها لا تتعرض لما يتعرض له الإنسان من فتنة التمييز بين المباح والمحظور ، وفضيلة الوصول إلى الخير والامتناع عن الشر بمشيئة الحيّ المكلف المسئول ، وقد افتتحت دعوة محمد عليه السلام بالأمر بالقراءة ، واقترن تمييز آدم على الملائكة بفضيلة العلم كما جاء في وصف الخليقة من الكتاب المبين : " هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليم ، وإذ قال ربك إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون" . البقرة : ٣٠ ـ ٣٣ .

ثم يقول العقاد : وقد جاء وصف الإنسان فى هذه المزية بعد الأمر بالقراءة فى أول آية خوطب بها عليه السلام : " اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ". العلق: ٣ ـ ٥". وهكذا ينبغى أن نفهم معنى القرآن ومعنى الفرقان ومعنى التقدير والتمييز الذى خص به الإنسان ، ومعنى الأمر الحكيم الذى يفرق فى ليلة القدر ، بأمر العليم الحكيم . فالشرف الذى فضلت به ليلة القدر إنما هو شرف التقدير والتمييز وشرف القرآن والفرقان ، وشرف التكليف الذى رفع به الإنسان إلى منزلة أشرف المخلوقات ، وحق عليه أن يذكره لأنه محاسب عليه ، فيذكر فى كل يوم وليلة أنه مسئول عما يفعل ، وأنه مشرف بين الخلائق جميعا لأنه مناط السؤال والحساب . وعلى هذا المعنى وحده ينبغى أن نفهم التقدير ، الذى يرتبط بنزول القرآن وبأمر القراءة والعلم ، الذى يُفْرَق به كل أمر حكيم.

ثم يتطرق العقاد إلى أمر مهم فيقول : ومن حقائق البداهة التى يدين بها المؤمن بالله أنه سبحانه وتعالى يقدر الأقدار ويقسم الأرزاق ، ويحيى ويميت ، ويجرى قضاءه فى صروف

الحوادث وأطوار الحياة والأحياء ، ولكن اقتران ذلك بليلة واحدة من ليالى الزمن ، أمر لا يقول به المؤمن بالإله الواحد السرمد ، الذى لا أول له ولا آخر ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، وإنما يتخلف هذا الاعتقاد من بقايا الأديان التى كانت تعدد الأرباب وتخص كل رب منها بوقته وسمائه ، أو تشبهه بما يشبه الإنسان من أعمال أصحاب التصريف والسلطان من بنى نوعه المحكمين فيه ، وتجعل للسعود والنحوس أياما تتعلق بمطالع النجوم ومدارات الأفلاك ، ويستنزلها العارفون بأسرار النجوم عندهم توسلا إليها بشفاعة القرابين والضحايا ورموز الطلاسم والعبادات.

ثم يقرر العقاد أن صحيح العقيدة الإسلامية ، فى صميمها لا تتمثل فى شئ كما تتمثل فى التكليف والتمييز ، وفى المخلوق العاقل المسئول ، الذى يدان بعمله ولا يصيبه الجزاء أو الغفران من عمل غيره ، وهنا تنشعب العقائد بين ليلة القدر فى شريعة المسلم وبين أشباه هذه الليالى فى كل شريعة يناط فيها قدر الإنسان بغير الأعمال والنيات . وأن المسلم ليعود إلى إسلامه الصحيح كلما احتفل بليلة القدر ،

وهو يذكر أنها ليلة فرقان وحساب ، وأنه يدعو الله فيها ليشرف بما شرفته به الليلة المباركة من آيات التقدير والتذكير(٤).

وهكذا ، يتفق الشيخ شلتوت مع الأستاذ العقاد ، فى وجهة نظريهما هذه حول ليلة القدر ، حيث يقول : جرت عادة الناس فى عهودهم الأخيرة أن يقيموا فى ليلة السابع والعشرين من رمضان احتفالا بليلة القدر ، ويرون أنه يحقق معنى القيام الذى رغب فيه الرسول بقوله : " من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه " ، ويجرى على ألسنة كثير من الناس فى خصائص تلك الليلة ما لا يتصل بمكانتها الروحية ، التى ربطت بين السماء والأرض وبين عالم الغيب والشهادة ، والتى صرح بها وأشار إليها القرآن ، لسان الحكمة وقانون الخلود وعلاج الأدران ووسيلة الطهر ، وقد كثر الكلام عليها فى ذلك حتى عند العلماء ، كثرة خرجت فى معظم ما قالوا أو كتبوا إلى حد صرف الناس عن تدبر جانبها الروحى إلى الاشتغال بظواهر مادية ، ومفاجآت حسية ، لا تعنى بها الروح ولا يهتز لها القلب.

ثم يهمس لنا فى كلمات عذاب حديثا يمس شغاف القلوب قبل أن يأخذ بمجامع القلوب والألباب فيقول: وقد أردت أن أتحدث عما أراه وأطمئن إليه فى هذا الشأن ، وقد اخترت لهذا الحديث ساعة من ساعات الليل الذى تخضع فيه الأصوات ، وتسكن الكائنات ، وتنطلق الأرواح ، تسبح فى ملكوت الأرض والسماوات ، وقد زالت من أمامنا العقبات ، ورفعت بينها وبين مقصدها الأسمى حجب الماديات ، وقصر بينهما شاسع المسافات ، وهناك تتجلى الآيات ، وتفيض بحار الرحمات ، وتنتعش النفوس بما تتلقى من دروس ، تكون لها فى حياتها الرائد الذى لا يضل ، والضوء الذى لا يخبو.

" إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر " سورة القدر.

فى سكون الليل يتحنث النبى ويتعبد ، ويسرى به ربه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ويأمره بالتهجد فى

الليل عسى أن يبعثه مقاما محمودا ، وفى الليل يتلقى من ربه وهو فى خلوته يناجيه : " اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم " العلق : ١ ـ ٥ .

ويفاجئ محمد الناس بهذا الخطاب الإلهى الكريم ، الذى يشعرهم بفضل الله عليهم فى تربيتهم المادية ، وتربيتهم العقلية ويصير هذا الخطاب الذى لا يألفون شغلهم الشاغل ، فيصفونه بأنه شعر أو سحر أو كهانة ، وتكون مهمة الوحى إذ ذاك تأكيدا على أنه حقيقة صادرة عن الله لهداية الناس ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، فينزل : " ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون " القلم: ١ـ٢ . وينزل: "ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى " النجم : ٣ ـ ٥ . وتنزل السور المعروفة فى القرآن باسم " الحواميم " ، وكلها تؤكد أنه " تنزيل من الله العزيز الحكيم " ، وتزيد سورة الدخان فتذكر الليلة التى نزل فيها وتخلع عليها صفة الخير والبركة ،

تلك الصفات التى وصف بها القرآن : " إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين " الدخان : ٣ .

" وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها " الأنعام : ٩٣ .

ولعل المسلم أحوج ما يكون فى هذا الوقت بالذات ، للعودة إلى النبع الصافى ، والمعنى الوافى ، لتقدير هذه الليلة حق قدرها ، وفاء لما للقرآن ومنزلته العظيمة ، والتى لا تستقيم حياته بدون تغلغل هذا الكتاب ، مبنى ومعنى ، فى جميع جزئياتها ، فهل نعى ذلك وندركه جيدا؟

الهوامش والتعليقات:

١ - الإمام جلال الدين السيوطى (١٩٦١) : القرآن . سلسلة كتب ثقافية. وزارة الثقافة والإرشاد القومى . مصر. ص ١٠ .

٢ - المصدر السابق ، ص ١١ .

٣ - الشيخ محمود شلتوت (١٩٥٨): " من توجيهات الإسلام". دار الشروق. ص ,٣٢٨ .

٤ - الأستاذ العقاد (١٩٦١) : ليلة القدر. مقال بمجلة الهلال، عدد مارس .

التمر: من ملامح رمضان الغذائية

درج المسلمون على انتهاج بعض الأساليب والعادات فى الحياة ، ارتبطت فى أذهانهم بمناسبات معينة ، وقد يحافظون عليها ، ويحرصون أشد الحرص على اتباعها ، إلا أنهم مع ذلك ينسون أصلها ، والباعث عليها ، وربما كان ذلك الباعث أمرا أو حثا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم. من ذلك مثلا أنهم يحرصون على أن يكون أول ما يقع فى جوفهم بعد صيام يوم طويل هو التمر ، فما السبب فى هذا ؟

التمرغذاء:

والتمر فاكهة محببة ، وقد يصبح وجبة لا غنى عنها فى بعض المجتمعات. فقد ورد عن عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت لعروة ابن أختها: "إنا كنا ننتظر الهلال إلى الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة وما أوقدت فى أبيات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نار. فقلت : يا خالة ما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان ، التمر والماء". رواه الإمام أحمد ، وذكره الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب الزهد وتمّمه ، وهو فى البخارى أيضا والإمام أحمد عن أبى هريرة بسند حسن.

وقد أصبح التمر من ملامح رمضان الغذائية على مائدة المسلم ، أيًّا ما كانت جنسيته، أو موقِعه من خارطة العالم ؛ ذلك أنهم يحرصون على أن يكون أول ما يقع فى جوفهم بعد صيام يوم طويل ، التمر أو الرطب ، فما السبب فى هذا؟

من السُّنة..الإفطار على التمر:

إن أول دافع لذلك هو ما صنعه الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وما أوصى به أصحابه وتابعيه ، فقد ورد فى "الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية" فى الجزء السادس عشر الخاص بـ "كتاب الصيام" ، القسم الثانى ص: ٢٠٥٣ ، عدة أحاديث نبوية شريفة إجابة عن السؤال: على أى شىْء يُفطِرُ الصائم؟

ومن هذه الأحاديث: عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يُفطِرُ على رُطَبَات قبل أن يُصلى، فإن لم يجد رطبات فعلى تَمَرات، فإن لم تكن حَسا حَسَوات

من مـاء". رواه أبو داود ، حـديث رقـم ٢٣٥٦ (١). حـسـا حسوات : أيْ شرب شربات.

كـمـا جـاء أيضـا فى كـتـاب "رياض الصـالحين" للإمـام النووى: عن سلمـان بن عـامـر – رضى الله عنه عن النبى – صلى الله عليـه وسلم – قـال: إذا أفطر أحـدكم فليـفطر على تمر ، فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور". رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح.

والتمر أو الرطب ابن البيئة الصحراوية، التى ينتشر فيها النخـيل بشكل كـبير، فى سـائر أقطار الوطن العـربى، وهو فـاكهة مـحـببـة ـ وقـد يصـبح وجـبة لا غنى عنهـا فى بعض المجتـمـعـات ـ وهو ثمـر النـخيل، تلك الشـجرة الطيـبـة التى أوصـانا النبى – صـلى الله عليه وسلم – بها وسماها: عمتنا النخلة، وأخبـرنا أنهـا خلقت من الطينة التى خلق منهـا أبونا آدم عليه السلام. وقد ورد ذكر هذه الشجرة المباركة كثيرا فى القرآن الكريم ، من ذلك قوله تعـالى: "ومن النخل من طلعـهـا

قنوان دانيـة" الأنعـام : من الآية ٩٩ . وقـوله عـز مـن قـائل: " فأنشـأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنهـا تأكلون ". المؤمنون: ١٩ . وقـوله تعـالى : "والنخل باسقات لها طلع نضيد ". ق : من الآية ١٠ .

أنواع النخيل ومنافعها الاقتصادية:

للنخيل أنواع كثيرة ومن ثم تتعدد أصناف ثمَرها الذى يتمثل فى التمر والرطب. أما نخلة التمرDate palm فتصنف ضمن نباتات الفلقة الواحدة ، وهى ثنائية المسْكن أىْ تتميَّز إلى ذكر (نخلة ذكر) وأنثى (نخلة أنثى) ، وهى من عائلة بالماسى Palaceae ، من جنس فينكس Phoenix ، أما نوعها فهو داكتيليفِرا Dactrlifera . ويذكر المتخصصون فى النخيل أن لجنس فينكس حوالى ستة عشر نوعا ، وتنتشر أشجار النخيل ـ بخلاف المنطقة العربية وصحاريها ـ فى الهند والصين وسيلان والمنطقة الاستوائية الإفريقية.

ولعِظَم شأن هذه الشجرة ، وكثرة منافعها ، حيث يُنْتَفَعُ بكل عنصر من عناصرها ، سواء للإنسان أو الحيوان أو البيئة والمكان ، فقد شَبَّهَها النبى – صلى الله عليه وسلم – بالمُسْلم، فيما رواه البخارى عن مجاهد ، قال سمعت ابن عمر فيما يرويه عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال: "من الشجر شجرة تكون مثل المُسْلِم وهى النخلة".

أول دافع لتهافت الناس على التمر أو الرطب والإفطار فى شهر رمضان على أى منهما هو فِعْل الرسول – صلى الله عليه وسلم – نفسه وحثه أصحابه على تناولها فى أول إفطارهم ، فما علة هذا من الناحية الصحية والعلمية ؛ لنرى ـ بمنطق العلم الحديث ـ أن النبى – صلى الله عليه وسلم –، فى فعله وقوله، قد أقام الحجة على أنه وهو ـ الصادق الأمين ـ لا ينطق عن الهوى؟

التعليل العلمى للإفطار على التمر:

من المعروف أنه فى نهاية يوم الصوم ، يهبط فى دم الصائم بشكل عام تركيز كل من سُكَّر العنب (الجلوكوز)

وهرمون الإنسولين. وهذا من شأنه أن يقلل من استيعاب خلايا الجسم ، ومن أهمها خلايا المخ والكبد والعضلات والأعصاب لسكر الجلوكوز. أما ما كان مُختزنا فى الكبد من الجلوكوز على هيئة نشا حيوانى (جليكوجين) ، فقد أوشك على النفاد أو كاد. فتلجأ الأنسجة فى هذه الحالة إلى الاعتماد على أكسدة الأحماض الدهنية ، ولما كانت أنسجة المخ لا تستطيع ان تنتهج هذا النهج فإنها قد تعول على ما يقوم الكبد بتصنيعه من الجلكوز من الأحماض الأمينية التى هى أساسا مكرسة لعمليات بناء الخلايا المتهدمة والبروتينات المستهلكة ، ولكن تحت هذه الظروف فلا بأس من الاستغناء عن كمية من هذه الأحماض لإغاثة الخلايا العصبية فى المخ وغيره إضافة إلى خلايا الدم الحمراء ؛ إذ إن غذاءها الأثير والوحيد هو الجلوكوز.

فإذا عَرفنا أن التمر والرطب بهما كمية كبيرة من السكريات وخاصة الجلوكوز ، ندرك جيدا أهمية الإفطار عليهما ، حتى يوفِّرا لخلايا الجسم ، لاسيما خلايا المخ والدم

ما هما فى حاجة ماسة إليه من سكر الجلوكوز ، بعد صوم يوم قد يطول - فى الصيف - لأكثر من ست عشرة ساعة!

محتوى التمر من المواد الغذائية:

يعتبر التمر من الوجبات الغذائية عالية القيمة نسبيا ، لاسيما إذا ما أضيف إليه اللبن. وهذا عادة هو واقع الحال فى البيئة البدوية الصحراوية ، التى تكثر فى أراضيها أشجار النخيل ، كما ينبت فيها الكلأ ، ومن ثمَّ ينتشر فيها رعى الأغنام والماعز ، كما تكثر فيها الإبل ، وتعتبر كلها مصادر جيدة للألبان واللحوم.

ويحتوى التمر على نسبة عالية تتراوح ما بين ٧٥ إلى ٨٧٪ من السكريات ، يشكل الجلوكوز وحده قرابة ٥٥ ٪ منها. أما سكر الفاكهة (الفركتوز) فيصل محتواه منه إلى حوالى ٤٥ ٪ ، وهو أيضا من السكريات الأحادية المُهمة ، التى يمكن استخدامها مباشرة عن طريق كثير من خلايا الجسم ، وقد تتحول جزيئاته إلى نظيرتها جزيئات الجلوكوز حتى يُمكن استخدامه كمصدر للطاقة فى الأنسجة الحيوية التى ذكرناها آنفا.

كما يحتوى التمر أيضا على نسبة من الدهن تصل إلى حوالى ٢,٥ ٪ ، أما كمية البروتينات فتتراوح نسبتها من ١,٩ إلى ٢,٠ ٪ ، كما يحتوى التمر أيضا على نسبة ١٠ ٪ من وزنه أليافا، وقد تتراوح نسبة الماء فيه من ١٣ إلى ١٥ ٪، أما بقية المكونات فتتمثل فى الرماد الذى قد تصل نسبته إلى ١,٥ ٪ . وفضلا عن هذا فهو يحتوى أيضا على قدر مناسب من فيتامين أ وفيتامين ب١ (ثيامين) ، و ب٢ (ريبوفلافين) ، و ب٥ (حمض النيكوتينيك) ، والبيوتين (أحد فيتامينات ب المركبة المهمة). كما يحتوى أيضا على كمية لا بأس بها من العناصر والمعادن اللازمة للجسم منها : الصوديوم ، والبوتاسيوم ، والكالسيوم ، والماغنسيوم ، والمنجنيز ، والحديد ، والنحاس ، والفوسفور ، والكبريت ، والكلور. كما يحتوى أيضا على مادة تُنبِّه تقلصات الرَّحِم ، وتزيد من انقباضه خاصة فى أثناء الولادة ، وهذه المادة تشبه ، فى خصائصها الفسيولوجية ، هرمون الأُكزيتوسين ، الذى يتم إفرازه وانطلاقه من الفص الخلفى للغدة النخامية ،

خاصة فى أثناء عملية الولادة لتسهيلها وتيسيرها ، ويحول دون حدوث النزيف بعد الولادة بقدرة الله تعالى ، ولهذا كان التمر الطعام الأساسى للسيدة العذراء ، قبل وبعد ولادتها للسيد المسيح ، عليه السلام ، وصدق الله تعالى القائل فى كتابه العزيز: " وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " مريم : من الآية ٢٥ .

ومما سبق يتبين لنا جيدا القيمة الغذائية المناسبة للتمر بالنسبة للإنسان ، وعلى وجه الخصوص تحت ظروف الصيام لما به من سكريات ، لاسيما أنه يُعتبر غذاء صحيا سهل الهضم ، له تأثير مُهدئ للأعصاب ، وانقباض وانبساط العضلات. به مواد مُفيدة فى عمليات الأيض والتمثيل الغذائى (فيتامينات ب المركبة) وتكوين الدم (الحديد والنحاس) ، كما أن به بعض المعادن والعناصر الأخرى ذات تأثير مُنشِّط لبعض الإنزيمات المهمة بالجسم وتكوين الجزيئات الحيوية عالية الطاقة (ثلاثى فوسفات الأدينوزين:

ATP) ، ولبعضها الآخر تأثير مهم فى التعادل الحمضى القاعدى (ضبط الأسِّ الهيدروجينى) فى الجسم ، فتنضبط البيئة البيوكيميائية بالجسم ، ويتلاشى بهذا التوتر العضلى والعصبى ، ومن ثمَّ يؤثر كل هذا تأثيرا إيجابيا على سائر أعضاء الجسم . وأيضا احتواؤه على الألياف له تأثير مُليِّن ، حيث إن هذه الألياف تعمل على تنشيط الحركة الدودية للأمعاء ، فلا تحدث نوبات الإمساك المؤلمة خاصة فى كبار السن.

أرأيت - عزيزى القارئ - إلى كل هذه الفوائد والمنافع الغذائية والصحية للتمر والرطب ، ومن ثمَّ تبدو الحكمة من الإفطار عليها واضحة ، فلا غرابة إذًا أن يُفْطِر عليها النبى - صلى الله عليه وسلم - ويوصى أصحابه وأتباعه أيضا بالإفطار عليها ، وتصبح عادة غذائية فى شهر رمضان المبارك ، خاصة وأن هذه الثمرة هى بنت البيئة العربية ، وهى متوافرة فيها ، ومن ثمَّ فإن ثمنها أيضا يُصبح مناسبا لمعظم الناس.

رمضان أيضا موسم للثقافة

ارتبط شهر رمضان العظيم ، منذ أن تفتحت مداركى ، ووعيت كنه هذا الشهر الكريم ، بذكريات لا يمكن أن تنمحى على مر السنين وتوالى الأعوام ، من ذلك مثلا أنه ارتبط فى الوجدان بكل معنى من معانى القراءة ، والمُدارسة والثقافة بمعناها الواسع. فقد كانت القراءة هى السِّمَة الواضحة ، والملمح الأهم ، لهذا الشهر ، الذى يأتى كضيف عزيز ، يهتم به الجميع ، بل ويتمنون أن لا يفارقهم أو يفارقونه.

هكذا كانت انطباعاتنا ، ونحن بَعْدُ صغار ، لم نشب عن الطوق ، فقد اعتاد والد كاتب هذه السطور على إحياء ليالى هذا الشهر المبارك بقراءة القرآن ، يقرأه شيخ من شيوخ القرية ، عقب صلاة العشاء ، ويظل هكذا إلى ما قبل السحور. وما بين فترات القراءة ، فى أثناء راحة الشيخ ، أو احتساء المشروبات ، كانت الأحاديث تدور ، حيث يتجاذب أطرافها الحضور من زُوَّار المَقرَأة - كما كانوا يُسمونها - وغالبا ما كانت هذه الأحاديث ، تتعلق بالقرآن أو بالسنة أو بكتب تدور حولهما ، أو قضايا ثقافية عامة ، ترتبط من قريب أو من بعيد بهذا الشهر الكريم.

ولا يَنْدُر أن تجد بعض المتحذلقين ، يحمل كتابا أو جزءا من أجزاء التفاسير المشهورة ، أو كتب الأحاديث المعروفة ، حتى إذا ما حانت الفرصة ، فتح هذا الزائر أحد هذه الكتب ليستشهد بشىء ، أو ليُدَعِّم رأيه ويؤيد كلامه ببعض ما جاء فيها. ولذا فقد ارتبط رمضان فى ذاكرتى بالقراءة وبالكتب ، أو قُلْ بالثقافة بوجه عام!

من عادات رمضان الثقافية:

والواقع أن رمضان حقا شهر الثقافة .. الثقافة الدينية ، والثقافة الصحية .. والثقافة الأدبية والتاريخية ، تحلو وتكثر فيه قراءة القرآن ، وتفسيره ، والاستماع للأحاديث الدينية ، وما يرتبط بها من ضروب شتى العلوم ، اللغوية ، والطبيعية ، والطبية ، وغيرها ، مما تشير إليه آىُ القرآن الكريم ، الذى قال فيه ربنا جل وعلا : " ما فرطنا فى الكتاب من شئ". الأنعام : من الآية ٣٨ . وقد دأبت بعض العائلات ـ كما ألمحت آنفا ـ فى ريف مصر وحَضَرها ، لعادة انتشرت لأجيال وأجيال ، وإن تكن الآن قد بدأت فى التآكل والانقراض ، وهى اتفاق رؤوس هذه العائلات مع القراء والمشايخ الحافظين

للقرآن الكريم ، على مجيىء هذا الشيخ الحافظ لكتاب الله - تعالى - من بعد صلاة العشاء والتراويح إلى بيت أو " دوّار" هذا الوجيه أو ذاك ؛ لكى يقرأ ما تيسر له من القرآن الكريم ، بواقع جزء فى كل ليلة ، على أن يختم القرآن بنهاية شهر رمضان المعظم. فى أثناء ذلك تتوافد زيارات رؤوس العائلات - والمثقفين والملتزمين دينيا - فهذا يأتى للاستماع لتلاوة القرآن ، وذاك يأتى للتعقيب على هذه التلاوة ، وثالث للمشاركة أو لحكاية بعض النوادر وسوق بعض الأخبار ، وآخرون لغير ذلك من شئون وشجون ، بعضها يتعلق بالأحوال العامة ، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو أمورا شخصية أو عامة ، وبذلك يتواصل السَّهَر ، ويحلو السَّمَر ، وتكتسب الأحاديث الطلية ، والأسمار الشجية ، ألوانا من المباهج الاجتماعية ، التى تَجْمَع القريب والبعيد ، ولا تخلو من إفادة الجميع.

هذا ، فضلا عما لرمضان من نفحات علوية ، وأجواء صفاء روحية ، تؤثر على كيان الإنسان ، وفكره ووجدانه وعواطفه ، ويبلغ التأثير مداه عند أرباب الفكر وحملة الأقلام،

من الأدباء والكتاب والشعراء ، فنراه يلهم الكثيرين منهم ويحفزهم على الإبداع والتأليف والإنتاج ؛ مما يؤدى إلى رواج الفكر والثقافة وازدهارهما بشكل عام ، خلال شهر الصيام.

ومن الجدير بالذكر أنه قبل إقامة "معرض القاهرة الدولى للكتاب" ، كان رمضان ، من كل عام ، فرصتنا الذهبية لشراء الكتب بأسعار مُخَفّضة ومناسِبة ، من معارض الكتب التى كانت تقام فيه ، لاسيما فى منطقة الأزهر والحسين ، الشهيرة بأجوائها الروحية ، وصبغتها الدينية. والأهم من ذلك أننا لم نكن نكتفى باقتناء الكتب فحسب ، ولكننا كنا نُقبِل أيضا على قراءتها ، بل ونلتهمها فى أيامه ولياليه. كانت متعة لا تعدُلها متعة أخرى ، فى وقت لم يكن قد تلوّث بعدُ بالفضائيات الوافدة ، و "النت" الشاردة!

الشيخ محمد رفعت فى رمضان:

ومن الملامح التى ارتبطت برمضان ، فى أذهان العامة والخاصة على السواء ، صوت من السماء كما كنا نُكنّيه ونسميه ، وهو صوت الشيخ محمد رفعت ـ رحمه الله ـ ذلك

الصوت الملائكى الذى يربط الأرض بالسماء ، حين نسمعه يتلو آيات الله البينات. ويأتى بعد هذا الشيخ الجليل صوت آخر ، لا يقل عنه روعة وجلالا ، وهو صوت الشيخ على محمود ، ثم الشيخ عبد العظيم زاهر ، وبقية كبار المُقرئين ، من أمثال الشيخ محمود الحصرى والشيخ مصطفى إسماعيل ، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد والشيخ محمود على البنا ، وغيرهم كثيرون.

أما فى مجال الابتهالات والأشعار والتواشيح الدينية، فقد انطبعت أصوات كل من الشيخ على محمود ، والشيخ طه الفشنى والشيخ النقشبندى - رحمهم الله جميعا - فى الذاكرة، وارتبطت أسماؤهم وأصواتهم بشهر رمضان ، كأحد ملامحه الثابتة ، رغم رحيلهم منذ سنوات طوال !

الشيخ الشعراوى من ملامح رمضان:

أما الشيخ محمد متولى الشعراوى - طيب الله ثراه وأجزل له عاطر الثواب - فلم يختلف عليه أحد من العامة أو الخاصة، فقد كان ظاهرة لا تتكرر كثيرا ، فى حياتنا الفكرية والثقافية والدينية.

وكان ـ رحمه الله ـ يؤدى رسالته فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالكلمة الطيبة ، والعقل المتفتح ، والفهم العميق ، والالتزام الكامل بمنهج أهل السنة والجماعة ، وهو منهج يبتعد كل البعد عن الإفراط أو التفريط ، والغلو أو المغالاة ، فهو منهج الوسطية ، الذى اختاره الله لأمة الإسلام؛ ومن ثمّ فقد اجتذب قاعدة جماهيرية واسعة، التفت على حبه، والاقتناع بما يبثه من صحيح الدين، على أسس من العلم الغزير، والفكر الواضح ، والأسلوب السهل الممتنع ، وتلك كانت المُعادلة الصعبة ، التى استطاع الشيخ ـ رحمه الله ـ أن يصل إليها ، ليس فقط من خلال العلم والمعلومات الدينية واللغوية الغزيرة ، ولكن أيضا من خلال الإخلاص ، والقدوة الحسنة ، والحب والتسامح ، والانخراط فى حركة الحياة ، كلما كان إلى ذلك سبيلا. ولهذا فقد واصل برنامجه الأسبوعى ، يوم الجمعة ، دون انقطاع ، لسنوات طوال لم نشهدها مع برنامج آخر ، وقد جمع هذا البرنامج كل أفراد الأسرة ، الصغير والكبير، من إناث وذكور، متعلمين أو أميين، أو أنصاف متعلمين، لا فرق بينهم، الكل يجمعهم

حبهم للرجل ، وحرصهم على الفهم منه ، والتلقى عنه ، بسهولة ويسر ، حتى عُرف فى جميع الأوساط ، بأنه ـ بحق ـ إمام الدعاة.

أما فى رمضان ، فقد أصبح حديث الشيخ ، الذى يذيعه التليفزيون المصرى ومعظم تليفزيونات الدول العربية ، فى رمضان بشكل يومى ، لعدة عقود متواصلة، ملَمحا واضحا ، وسمة مميزة لرمضان يختتم به الصائم يومه ، حتى إن حديثه آخر نهار رمضان صار بشيرا بقرب ميعاد الإفطار ، خاصة فى أيام الصيف الطويلة نسبيا!

موسم لإصدار الكتب الدينية:

وكلما هل علينا هلال رمضان من كل عام ، نرى كمّا هائلا من الكتب والمقالات والأشعار والأفكار ، التى تدور كلها حول الصيام وشهر رمضان ، مما يمكن أن نطلق عليه "الأدب الرمضانى" إن جاز هذا التعبير، وتتبارى دور النشر المختلفة وتتسابق ، فى هذا الوقت بالذات ، فى نشر المؤلفات الدينية بوجه عام ، وما يتعلق منها بشهر رمضان وفريضة الصيام بوجه خاص ؛ وعلى ذلك فقد اقتنينا فى مطلع رمضان لأعوام طوال متصلة ، جُملة من الكتب الدينية والأدبية القيمة ، التى

صدرت ضمن سلسلة كتاب الهلال ، وأخرى صدرت ضمن سلسلة "اقرأ" الشهيرة وثالثة ضمن سلسلة كتاب الجمهورية ، فأثرينا مكتباتنا بنقود زهيدة ، من هذه النوعية الجيدة والنادرة ، من هذه الكتب والمؤلفات ، مع مطلع رمضان من كل عام. وسنحاول في هذه العُجالة أن نتذكر بعض هذه العناوين ، محاولين تتبع إنتاج واحد من أكبر مفكرينا وأدبائنا وهو الأستاذ العقاد ـ رحمه الله. فحينما قررت دار الهلال الشروع فى سلسلتها المعروفة القيمة: كتاب الهلال فقد بدأتها بكتاب الأستاذ عباس العقاد" عبقرية محمد" ، صلى الله عليه وسلم ، على الرغم من أنها لم تكن الطبعة الأولى من الكتاب ، فقد سبقته ثلاث طبعات نفِدَت كلها ، فاستبشرت دار الهلال خيرا ، بأن تبدأ به سلسلة كتابها بهذا الكتاب القيم موضوعا وتأليفا ومُؤلِّفا ، ليظهر مع هلال رمضان من عام ١٣٧٠هـ الموافق ٥ يونيو من عام ١٩٥١، وينفد الكتاب لتظهر طبعته الثانية فى السلسلة ذاتها مع بزوغ هلال رمضان ، فى العام التالي مباشرة. وفى التوقيت ذاته (أى فى رمضان من عام ١٣٧١هـ الموافق ٥ يونيو١٩٥٢) تصدر له السلسلة نفسها كتابا ثالثا بعنوان "عبقرية خالد" ، بعد كتابيه

"عبقرية محمد" و " الحسين أبو الشهداء". وفى أبريل من عام ١٩٥٣ تصدر الهلال ، ضمن سلسلتها الذهبية سالفة الذكر ، طبعة جديدة من كتابه الرائع "عبقرية عمر" حيث وافق ذلك رجب عام ١٣٧٢هـ، وبعد ذلك بشهر واحد ، أى فى رمضان ، تصدر له السلسلة ذاتها كتابه التالى" فاطمة الزهراء والفاطميون" فى طبعته الأولى ، وذلك فى يونيو من عام ١٩٥٣، وليس عام ١٩٥٤، كما ذكر الدكتور حمدى السكّوت ، فى كتابه " عباس العقاد : دراسة ببليوجرافية". وفى أواخر شعبان ، ومع اقتراب شهر رمضان ، من عام ١٣٧٣هـ الموافق لأبريل عام ١٩٥٤ تصدر دار الهلال ، فى سلسلة كتابها الشهرى ، الطبعة الأولى من كتاب العقاد: " ذو النورين عثمان بن عفان ". ومع نسمات رمضان الحانية وأجوائه الروحية للعام التالى مباشرة ، الموافق لمايو من عام ١٩٥٥ تنشر سلسلة كتاب الهلال ، لأستاذنا العقاد كتابه التالى، فى طبعته الأولى أيضا بعنوان: " مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية".

أما الصيام فى حد ذاته فهو خير مؤدِّب للناس ، ومهذِّب لنفوسهم ، ومرقق لمشاعرهم ، ومرهف لأحاسيسهم ، وكم

أفاض الأدباء والمفكرون فى هذا الجانب ، كل واحد منهم قد ركز على جانب من جوانب رمضان ، وفلسفة الصيام ، ودبَّجَ فيه المقالات ووضع الدراسات ، أو قرض حوله بديع القصيد وصادق الأشعار.

رمضان وازدهار الفنون:

كما شحذ رمضان أيضا قريحة الفنان فأبدع الألحان ، التى تتغنى بشهر الصيام ، وكلما يأتى رمضان ، نتوقع على الفور سماع بعض الأغانى والأناشيد ، التى تتغنى مبتهجة بقدوم رمضان ، ومن أشهرها أغنية "وحوى يا وحوى" ، التى ألفها محمد حلمى المانسترلى ولحنها وغناها الفنان أحمد عبد القادر ، و "رمضان جانا" لفارس الأغنية الشعبية الفنان القدير محمد عبد المطلب ـ رحمه الله .

أما ما استحدثه المرحوم الشاعر بيرم التونسى ، والذى حذا حذوه فى ذلك معظم شعراء العامية المصرية ، مما أُطْلِق عليه " فوازير رمضان " ، فقد أصبح أيضا من ملامح رمضان ، فى جميع وسائل الإعلام العربية ، ولكن وسائل الإعلام قد غالت فى ذلك بعض المغالاة ، بحيث أصبح رمضان وكأنه شهر الفوازير! إلا أنها ، على كل حال ، قد تنعش

أذهان بعض الناس ، وتُكْسِبُهم بعض المعلومات الثقافية والأدبية والتاريخة وغيرها ، وتشغلهم عن أشياء أخرى أقل قيمة في شهر الصيام والثقافة.

والليالى أيضا من ملامح رمضان الشهيرة:

يعجب المرء لتلك الضجة الفارغة الجوفاء حول العمل الأدبى الخالد "ألف ليلة وليلة" ، والتى أثارها البعض ممن يريدون أن يطفئوا المصابيح على طريقة " كرسى فى الكلوب"، فهم فى الواقع يريدونها ظلماء حتى يتمكنوا من أن يعيثوا فيها فسادا ، فلا يكشفهم نور ولا يراهم أحد! لقد كانت "الليالى" من مباهج شهر رمضان وعلاماته التى لا تنسى!

فقبل افتتاح التليفزيون فى أوائل ستينيات القرن الماضى كان الراديو هو فارس الحلبة بلا منازع ، لاسيما فى قرى ونجوع مصر ، التى لم يكن بها من وسائل التثقيف والتسلية سوى الراديو ، والذى كانت تنعم به الأسر المُوسرة وذلك لنفقاته ، حيث كان ثمنه غاليا ، كما كان مصدر طاقته وتشغيله أيضا غاليا. فكان من يريد أن يستمع من الناس إلى الراديو بين فريقين: أما أن يذهب إلى قريب موسر ليمكث فترة يستمع فيها إليه ، أما الفريق الثانى فقد كان يذهب إلى

مقهى القرية ، ليشرب الشاى أو يحتسى القهوة وينعم أيضا بالاستماع إلى المذياع.

وكان من أشهر وأمتع المسلسلات الرمضانية : " ألف ليلة وليلة " ، الذى كان يكتبه الشاعر الدمياطى الكبير طاهر أبو فاشا ـ رحمه الله ـ وكان يخرجه للإذاعة الأستاذ محمد محمود شعبان المعروف بـ "بابا شارو" ـ رحمه الله. وكان الشاعر الكبير يستمد مادته من الليالى الأصلية ، ثم يُحَوِّر فيها ويغيِّرُ بما يتناسب مع قضايا العصر ومشاكله ، دون أن يُفْقِدِ النص الأصلى كثيرا من جوهره ومحتواه.

وقد طالت حلقات الليالى واستمرت إذاعتها بشكل متواتر عاما بعد عام وعقدا بعد عقد، حتى صارت من ملامح رمضان ، فى الوجدان المصرى والعربى أيضا، ثم يأتى الآن نفرٌ من الفشلة الجهال، الذين لا يفقهون معنى الثقافة أو مدلول التراث ، ويريدون أن يهيلوا على مفاخرنا الأدبية والتراثية رُكاما من جهالتهم ، فلا يملك المرء إلا أن يضرب كفا بكف ، لهذه الردة الثقافية والعفونة الفكرية. إن مثلهم كمثل من ترك له أجداده إرثا وذخرا غاليا ثم يريد أن يشوهه، أو يتخلص منه دون أن يُجْهِد نفسه فى معرفة مدى نفاسته وعالى قيمته ، ولا نملك إلا أن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله!

الفانوس.. من ملامح رمضان
تراث متجدد على امتداد الزمان!

حينما يأتى ذكر الفوانيس ، تستدعى الذاكرة أيام الطفولة الباكرة ، ونسترجع أياما خوالى ، كنا نلعب فيها ونمرح بهذه الفوانيس ، كلما أقبل رمضان ، ولا نعبأ بأى شىء ، ولا نأبه بتبرم الكبار من طول السهر ، والبقاء خارج البيت لساعات متأخرة من الليل! ولا تزال لسعات الشموع ، التى كنا نتحملها بسعادة مفرطة ، فى أيدينا ، ورائحة احتراقها المحببة تتسلل إلى أنوفنا ، فتثير فى تلافيف أدمغتنا تلك الذكريات المبهجة ، ولا تزال تتألق فى أعيننا تلك الألوان والأضواء الجميلة ، التى تنبعث من الجوانب الزجاجية الملونة، لتلك الفوانيس . كل ذلك لا يمكن أن يمحى بمر السنين وكر الأعوام ، بل يزيد رسوخا واستدعاء.

ثم شببنا - قليلا - عن الطوق ، وعرفنا القراءة ومعنى الثقافة ، فأصبحنا نتذكر مع فانوس رمضان ، فانوس أو مصباح " ديوجين" ، فقد كانت تصدر بمصر مجلة بهذا الاسم ، وهى الترجمة العربية لمجلة عالمية تصدر عن مؤسسة

تتبع اليونسكو ، ومن الطريف أنها اتخذت من فانوس ديوجين شعارا لها ، وديوجين هذا فيلسوف إغريقى (٤١٢- ٣٢٣ ق.م.) عاش فى أثينا ، ودعا لنبذ العادات القديمة والتقاليد البالية ، كما لفت أنظار الناس إلى الحياة البسيطة التى كان يعيشها ، بل وقد بالغ فى ذلك أحيانا إلى حد الدعوة إلى التقشف حتى إنه بدأ بنفسه وعاش فى برميل ، وكان يضيىء فانوسه فى عز النهار ، ويسير فى طرقات المدينة ، ولما كان يُسْأل عن ذلك كان يجيب بأنه يضيء للناس طريقهم (كناية على أنه يحاول هداية الناس).

أصل كلمة فانوس إغريقى:

إذن فكلمة فانوس هى من أصل يونانى قديم ، وتشير إلى المصباح كأداة للإضاءة ، ثم تطور هذا المفهوم من الاستضاءة البصرية إلى الاستنارة العقلية والفكرية ، وهذا التطور اللغوى ، فى استعمال الكلمات ، شائع فى كل اللغات.

وقد عرف قدماء المصريين هذه المشاعل والمصابيح ، فصنعوها من الفخار والخزف ، وكذلك عرفتها الشعوب

الشرقية القديمة ، مثلما عرفها الإغريق والرومان ، الذين افتنّوا فى صناعتها ، فتعددت أشكالها ، حتى انها كانت ومازال قطعا فنية رائعة. وبعد ذلك ظهرت الفوانيس ، واستعملتها الشعوب المسيحية ، بما فيهم القبط فى مصر(١).

أما العرب فقد برعوا ، إبّان تألق الحضارة العربية ، فى صناعة الشمعدان والثريا والمشكاة أو القنديل ، كما تفننوا أيضا فى صناعة المصابيح ، فصنعوها من الفخار والخزف إضافة إلى استخدام المعادن المختلفة ، كما استحدثوا الزخارف المتنوعة ، عن طريق الحفر والتخريم وغيرها.

ومن طريف ما يذكر حول المعنى اللغوى للفانوس ، فى بعض القواميس ، فقد ذكر المازرى فى قاموسه إن معنى الفانوس: النَّمَّام ؛ ثم أضاف وكأنه يُسَوِّغ هذا المعنى بقوله: لأن كليهما يشترك فى النميمة أى الكشف عن المستور ، وبيان ما خفى(٢)!

فوانيس رمضان:

حينما يأتى رمضان من كل عام يختلط على المرء ، فى ذهنه وبصره ، كل من النور الفيزيقى (الطبيعى) والنور الإيمانى ؛ لتتحول ليالى رمضان وأيامه ، فى حياته ، إلى مواكب وأمواج من الأنوار ، ومن ثم فقد ارتبط استخدام الفوانيس بكثافة، خاصة فى هذا الشهر النورانى الكريم ، لاسيما وأن القمر لا يكاد يظهر فى أول أيام الشهر العربى حتى يتأخر ظهوره رويدا رويدا ثم يختفى .

كان ارتباط الفوانيس واستخداماتها ، بشهر رمضان المعظم ، فى مصر لأول مرة ، فى عهد الدولة الفاطمية ، حيث كانت تضاء بها قصور الخلافة ، كما استخدمها الناس فى استقبال هذا الشهر الكريم ، خاصة فى ليلة الرؤية ، كما استخدمت الفوانيس أيضا لتسهيل مهمة المسحراتية ، فى إيقاظ الناس ، لتناول طعام السحور.

ففى استقبال رمضان ، كان هناك موكب يأخذ فى المسير، وتحف به عربات صغيرة تحمل الشموع الموكبية ، التى تبلغ

زنة الواحدة منها قنطارا لإضاءة الطريق ، إلى أن يخرج من باب الفتوح ، ثم يدخل باب النصر ، عائدا إلى باب الذهب ، وعلى طول هذا الطريق تقف الجموع الغفيرة من الناس ، ومعها الشموع الكبيرة والفوانيس ؛ للاستمتاع برؤية الموكب، وتحية الخليفة ، وقد تبارى التجار فى إقامة معالم الزينات الجميلة على متاجرهم ، وفى أثناء سير الموكب كان الخليفة ينثر الدنانير الذهبية على الناس فتتعالى أصواتهم بالدعاء له (٣) .

تطور الفوانيس:

ثم شاع استعمال الفوانيس، بعد ذلك على يد المسحراتية، لاسيما فى أوائل وأواخر هذا الشهر الكريم؛ وذلك لتسهيل مهمة هؤلاء الناس ، فى أثناء سيرهم فى الشوارع والدروب والحارات المظلمة ، فى القرى والمدن ، قبل اكتشاف البترول والكهرباء ، فكانت تستخدم مواد الاشتعال ، التى تطورت هى الأخرى ، فصُنِعت من مواد دهنية وزيتية ، إلى أن انتهت باستخدام المواد الشمعية فى هذه الأغراض.

ثم حـذق الصناع المهـرة صناعـة الفـوانيس ، وتعـددت أشكالها وأحجامها ، وانتشرت انتشارا واسعا ،.لاسيما بعد أن استخدمـها أطفـال الأغنيـاء ، ثم الأطفـال من أبناء جميع الطبقات ، لإظـهار فرحتهم العـارمة باستقبال شـهر رمضـان المعظـم ، وقد بارك الكبار هذا الاستـعمـال ، حـتى إنهم قـد استعملوها هـم أنفسـهم فى الشـرفات ، وأمـام المنازل من أول يوم من رمضان إلى آخر يوم منه ، تعبيرا عن الفرحة وتبديدا للظلام فى بعض الأحيان. وقد انتقلت هذه الظاهرة إلى الدول العـربيـة الأخـرى ، حـيث انتشـر اسـتـعـمـال الفـوانيس بهـا لأغراض مشابهة.

هذا ، وقـد تطورت صنـاعـة الفـوانيس تطورا هـائلا ، مـع التطور التقنى ، وتمشـيا مع التقدم العلمى ، سـواء فى شكل الفـانوس ، أو فى وسـيلة إضـاعتهـا ، فظـهرت الفوانيس على أشكال وأحجام متباينة، حتى إننا بتنا لا نستغرب منها شيئا، فمنها ما هو على هيئة مصباح ومنها ما هو على هيئة شعلة ومنها ما هو على صورة طائرة ، أو صاروخ ، أو طبق طائر ،

أو حتى على هيئة سفينة فضاء ، ولم تكد تتحفنا الصناعة المحلية بالكثير من نماذجها العجيبة حتى زحفت علينا الفوانيس الصينية ، والماليزية ، والتيوانية ، بأشكالها وأنواعها الغريبة.

وقد تعددت أيضا وسائل إضاعته ، فمنها ما يضاء بالشموع التقليدية ، التى كان لها مكانة خاصة حيث تشارك فى الانفعال بها عدة حواس فى وقت واحد ، وليس حاسة النظر فحسب! فقد كان لرائحة احتراقها في أنوفنا متعة خاصة ، بل وكنا نرى منظرها وهى تحترق فنتخيلها كمن يذرف الدموع لينير لنا الطريق! ومع التطور التكنولوجى ظهرت اللمبات الكهربائية الدقيقة التى تستمد طاقتها من البطاريات الجافة ، ثم حدثت طفرة تكنولوجية أخرى ، استُخدِمت من خلالها أشعة الليزر بألوانها المتعددة ، وزواياها المتغيرة ، وشدة إضاعتها المتنوعة ، وإبهارها الذى بلغ حدا كبيرا جذب إليه الصغار والكبار ، فأضاف أبعادا

جديدة لتكنولوجيا الفوانيبس التى يبدو أنها تتطور مع الزمن لكى لا تهرم وتموت!

الفانوس فى الشعر العربى:

وقد حفل ديوان الشعر العربى ، فى عصر الدولة الفاطمية وما بعدها ، بالكثير من الشعر الذى ذكرت فيه الفوانيس ، وفيما استخدمت له من أغراض ، كما استعمل أيضا فى بعض التشبيهات والاستعمالات اللغوية والبيانية.

يقول الأديب المصرى على بن ظافر ، المتوفى عام ٦١٣ هـ / ١٢١٦م : اجتمعنا ليلة فى رمضان فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث ، وقد أوقِد فانوس السحور ، فاقترح بعض الحاضرين على الأديب أبى الحجاج يوسف بن على أن ينشد فيه ، فقال:

ونجم من الفانوس يشرق ضوْؤه ولكنه دون الكواكب لا يسرى

ولم أرَ نجما قط قبل طلوعه إذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

يقول الراوى : فانتُدِبتُ له من بين الجماعة وقلتُ: هذا تعجب لا يصح لأنى والحاضرين قد رأينا نجوما لا تدخل

تحت الحصر ، إذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر ، وهى نجوم الصباح ، فأسرف الجماعة فى تقريعه فأنشد:

هذا لواء سحور يستضاء به   وعسكر الشهب فى الظلماء جرار

والصائمون جميعا يهتدون به   كأنه علم فى رأسه نار

وقد صار الشطر الأخير من البيت الثانى مضرب الأمثال، نضربه حينما نريد أن نشير إلى رجل شهير ، لا يحتاج إلى مزيد من التنويه أو التعريف!

ثم يتابع الراوى قوله: فلما أصبحنا ، سمع من كان غائبا من أصحابنا فى ليلتنا ما جرى ، فأنشد الرشيد أبو عبد الله محمد بن متانو:

أحبب بفانوس غدا صاعدا   وضوؤه دان من العين

يقضى بصوم وبفطر معا   فقد حوى وصف الهلالين

كما أنشد ابن ظافر:

انظر إلى المنار والفانوس فيه يرفع

كحامل رمحا سنان خضيب يلمع

كما أنشد شهاب الدين يعقوب:

رأيت المنار وجنح الظلام   من الجو يسدل أستاره

وحلّق فى الجو فانوسه   فـذهّب بالنور إفطاره

وخلِت المنــار وفانـوســه   فتى قام يصرف ديناره(٤)

الهوامش والتعليقات:

١ – على الجندى (ب. ت.). قـرة العين فى رمـضـان والعيدين . القاهرة . ص ٢٧٦ .

٢ – المصدر السابق ، الموضع نفسه.

٣ – خليل طاهر (١٩٥٨) . شـهـر رمـضـان منذ فـجـر الإسلام إلى العصر الحديث. دار الهلال ـ مصر . ص ٩٢ .

٤ – حسن عبد الوهاب (١٩٦٠). رمضان. دار القلم . مصر ، ص ٥٥ .

عيد الفطر.. يوم الجائزة !

الأعياد ظاهرة اجتماعية ، تعرفها الشعوب على اختلاف أديانها وحضاراتها ، قديما وحديثا ، شرقا وغربا . وهي تعبر عن شخصية هذه الأمة أو تلك ، كما تشي بسماتها واهتماماتها ، من حيث ارتباط هذه الأعياد ، بمناسبات تتعلق بالدين أو بالمناسبات المختلفة من تاريخية أو وطنية أو اجتماعية أو فصلية وغيرها.

ومن الغريب أنه يتفق لأعياد المسلمين ما لا يتفق لغيرها من أعياد أو مناسبات ؛ وذلك لأنها تنطوى على مدلولات دينية واجتماعية بل وسياسية أيضا. أما من حيث جانبها الدينى فإن عيد الفطر يأتى عقب عبادة الصوم ، ونجاح المسلم فى الانتصار على ذاته وشهواته وعلى شياطين الإنس والجان طاعة للرحمن. فكان يوم الفطر بمثابة الجائزة. وكذلك يأتى عيد الأضحى بعد قيام الحجيج بأداء الركن الأعظم لفريضة الحج ، وهو الوقوف بعرفة ، فكأن العيد يأتى إتماما واعترافا بفضل الله تعالى على المسلم الذى استطاع أن يلبى نداء ربه رغم المجهود البدنى والتكلفة المادية أداء لركن عظيم من أركان الإسلام.

أما الجانب الاجتماعى فى أعياد المسلمين فيتمثل فى صلة الأرحام ، وفى التزاور واللقاءات ، التى تتوثق فيها الروابط الاجتماعية والعلاقات بين الأهل والأقارب والجيران. كما يأتى يوم الفطر وقد أدى المسلم صدقة الفطر طعمة للجائع والمحروم ليكفيه القادر مؤونة البحث عن طعامه فى هذا اليوم ، فيشعر بفرحة العيد شأنه فى هذا شأن غيره من القادرين. كما يأتى يوم الأضحى وقد قام الحاج بأداء نسك الهدى الذى يأكل منه ويشاركه فيه الفقير والمحتاج ، أما غير الحاج فيقوم بسنة أخرى هى الذبح أو الأضحية التى يأكل منها ويهدى لأقاربه ومحبيه ولا ينسى حق الفقير فيها فيسعد الجميع بهذا الصنيع.

أما الجانب السياسى فيتبدى جليا فى خروج المسلمين رجالا ونساء صغارا وكبارا على صعيد واحد وفى وقت واحد تغمرهم الفرحة وتشملهم البهجة لأداء سنة غالية هى صلاة العيد فى الخلاء ، وفى هذا شعور بعزة المسلمين وتوحدهم على قلب رجل واحد مما يزيد فى ترابطهم ويخيف منهم أعداءهم.

وفضلا عن هذا ، فإن هذه الأعياد تعبر عن الفطرة السليمة؛ ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يواصل حياته على نسق واحد من العمل، والنشاط على وتيرة واحدة لا تتغير أو تتبدل، حيث ينهكه الدأب ويضنيه الملل والتعب، ويُضْجِرُه السأم والرتابة. ولا يتأتى ذلك إلا بكسر هذا " الروتين" ، وإعطاء النفس فرصة لتنطلق من هذه القيود الحياتية المُمِضَّة، فيتلاشى التعب ، وتتبخر هموم الحياة ، ويتجدد النشاط، وتنتعش الهمة من جديد. ولذلك حينما جاءت مناسبته، قال فيه شاعر العربية الأكبر أبو الطيب المتنبى:

عيد ، بأية حال عدت يا عيد   بما مضى أم لأمر فيه تجديد

أعياد المسلمين:

للمسلمين عيدان: يعرف أحدهما بعيد الفطر أما الآخر فهو عيد الأضحى ، وأصل ذلك أنه كان للعرب فى الجاهلية أيام يحتفلون بها ، فحينما قدم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة وجد أن للقاطنين فيها ـ حينذاك ـ يومين يلعبون فيهما فقال ـ صلى الله عليه وسلم – : " ما هذان اليومان ؟ "

قالوا : يا رسول الله كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال – صلى الله عليه وسلم – : " إن الله قد أبدلكما خيرا منهما : يوم الأضحى ويوم الفطر ".

يقول شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت ـ رحمه الله : يُذَكِّرُ يوم الفطر بهذه النعمة العظمى التي كانت أساسا لبناء دولة الإسلام الموحَّدة والموحِّدة ، دولة التحاكم إلى الرحم الواحدة ، دولة الصفاء الروحي والاستقامة القلبية ، دولة الحق والعدل ، دولة العلم والحكمة ، دولة التعمير والبناء ، دولة الهدى والرشاد ، دولة السعادة في الدنيا والآخرة ، فيوم الفطر يوم البناء ، ويوم الأضحى يوم الإتمام والإكمال لهذا البناء: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا". المائدة: ٣ .

والأمم الناهضة لا تعرف في تاريخها أعز ولا أعظم من يومها الأول الذي وضع فيه أساس بنائها ، ويومها الثاني الذي تم فيه صرح هذا البناء ، وما أجدر اليومين بأن يكونا عيدين تسم فيهما ذكرياتهما وآثارهما وإيحاءهما على صفحات القلوب(١).

يوم الجائزة:

يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إذا كان غداة الفطر، يبعث الله ملائكته ، فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق ، اخرجوا إلى رب كريم ، يغفر الذنب العظيم ، فإذا برزوا إلى المصلى ، يقول الله تعالى: يا ملائكتى ، ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فتقول الملائكة : إلهنا وسيدنا ، جزاؤه أن يوفى أجره . فيقول الله تعالى: يا ملائكتى ، أشهدكم أنى جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضاى ومغفرتى ، يا عبادى سلونى ، فوعزتى وجلالى لا تسئلونى اليوم ، فى جمعكم هذا شيئا لآخرتكم إلا أعطيتكم ، ولا شيئا لدنياكم إلا نظرت إليكم ، وعزتى وجلالى لأسترن عيوبكم ، ولا أفضحنكم ، ولا أخزينكم ، انصرفوا مغفورين ، فقد أرضيتمونى ، فرضيت عنكم " أو كما قال. ولا أعتقد أنى بحاجة ، بعد ذلك البيان الرائع والوضوح السافر ، إلى تعليق أو شرح أو تفسير.

العيد مناسبة دينية اجتماعية :

وكما فهمنا من الحديث النبوى الشريف ، المتقدم ذكره ، فإن الله تبارك وتعالى هو الذى اختار للمسلمين عيديهم : يوم الفطر ويوم الأضحى . فالعيد بهذه المثابة مناسبة دينية شرعه الله لعباده العابدين الطائعين ، ومن ثم يحرم الصوم فيه ، فهو يوم للفرح والابتهاج بانتصار الإنسان على نفسه وشيطانه وشهواته بطاعته لله تعالى ، وفى ذلك يقول الشيخ الباقورى ـ رحمه الله: إن من حق المسلم ، الذى قطع شهر رمضان صائما ، ملتزما حدود الله فيه أن يفرح بانتصاره على نفسه ، فالانتصار على النفس أشد تمنعا من الانتصار على الأعداء (٢) .

والعيد من ناحية أخرى فرصة ليجدد فيه المسلم ـ بالمتعة الحلال ـ نشاطه ، بما يفيض عليه فى هذا اليوم من البهجة والحبور ، والفرح والسرور.

ومن ناحية ثالثة، فهو مناسبة اجتماعية عظمى ، حيث يلتقى فيه المسلمون ، من أقارب ومعارف وأصدقاء وجيران ،

أولئك الذين باعدت بينهم دروب الحياة وظروف العمل والاجتهاد ، فيتقابلون فى هذا اليوم ليتصافحوا وينطلقوا فى مسرة متحابين متعاطفين يتزاورون ويتسامرون ويملأون حياتهم فى هذا اليوم بهجة وجمالا. وهو أيضا فرصة هائلة لتبخير ما تعكر من صفو بين المسلم وأخيه لإعادة ما انقطع من ودّ بين المتخاصمين والمتشاحنين.

وفى هذا السياق يقول المفكر الكبير الأستاذ العقاد - رحمه الله -: الأعياد من المراسم المرعية فى جميع الأديان الكبرى : لأن الاشتراك فى الاحتفال بوقت من الأوقات يرعاه المتدينون جميعا هو بعض المعالم العامة التى لا غنى عنها فى كل عقيدة تدين بها الجماعة وتتعارف على شعائرها(٣).

العيد بين الصغار والكبار:

للكاتب الكبير ، صاحب الأسلوب المشرق ، والبيان الناصع ، أحمد حسن الزيات - رحمه الله - مقال نادر ، نشره بمجلته ذائعة الصيت "الرسالة" ، ينتقد فيه أحوالنا وسلوكنا حيال أعيادنا منذ أكثر من سبعين عاما ، فهل تبدل الحال ؟

يقول الزيات: لولا مرح طافر يقوم به الأطفال في العيد ؛ لعطلة المدارس ، وجِدَّة الملابس ، وسحر النقود ، وفتنة اللعب لمرَّ كسائر الأيام حائل اللون ، تافه الطعم ، بادي الكآبة !

ثم يردف الزيات : فليت شعري ماذا حاق بنا من الأحداث والغِيَر حتى غاضت ينابيع المسرة في القلوب ، وماتت أحاسيس البهجة في النفوس ، وتحللت أواصر المودة بين الناس ، وآل أمر العيدين - وهما كل ما بقي في أيدينا من مظاهر الوحدة الدينية والعزة القومية - إلى هذه الصورة الطامسة والحال البائسة ؟!

لا نستطيع أن نتهم حسرة الحزن على الماضي وذلة الضعف في الحاضر . كذلك لا نستطيع أن نتهم المادية والمدنية ، فإنهما - وإن جنتا على بعض الأخلاق الكريمة كالإخاء والإخلاص والمروءة والرحمة - لم تجنيا على نزعات السرور في النفوس ، ولم تقضيا على غرائز اللهو في الطباع، بل ازداد الناس بهما في ذلك شراهة وحدّة . إذن ما هي الأسباب الصحيحة التي مسخت حياتنا هذا المسخ ،

وشوهت أعيادنا هذا التشويه ، فجعلت أظهر المظاهر فيها خروفا يذبح ولا يضحًّى ، ومدافع تساعد المآذن ولا تجاب ، وأياما كنقاهة المرضى كل ما فيها همود ونوم وأكل ؟!

ثم يحاول الزيات أن يجد تعليلا لذلك فيقول : الحق أن لذلك أسبابا مختلفة ، ولكنها عند الروية والتأمل ترجع إلى سبب رئيسى واحد : هو غيبة المرأة عن المجتمع الإسلامى ... ذلك السبب هو علة ما نكابده من جفاء فى الطبع وجفاف فى العيش وجهومة فى البيت وسآمة فى العمل وفوضى فى الاجتماع (٤).

ونحن بدورنا نختلف مع أستاذنا الراحل العظيم ، فى وجهة النظر هذه ، مع حرصنا الشديد على تفعيل دور المرأة الملتزمة ، ووجودها فى المجتمع المسلم . فها قد انطلقت المرأة من حجابها فى بيتها ، ووُجدت فى الطريق والعمل بل والنادى والملهى ، وكل مكان يوجد فيه الرجل ، فهل آلت أعيادنا وأحوالنا إلى غير ما كانت عليه منذ أكثر من سبعين عاما ؟!

إن الإحساس الحقيقي ببهجة العيد السعيد إنما يشعر بها ويخبرها جيدا ، من أرضى ربه ، وأدى واجبه نحو ما افترضه عليه من فرائض وتعاليم ، فيشعر براحة الضمير ، ويفرح بنجاحه فى ذلك الامتحان ، فيصطبغ كل سلوك يسلكه فى هذا اليوم بطابع الفرح والسعادة والسرور ، وتلك هى حقا الجائزة.

الهوامش والتعليقات:

١ - الشيخ محمود شلتوت (١٩٨٣) . من توجيهات الإسلام . الطبعة السابعة . دار الشروق بالقاهرة . ص ٤١٥.

٢ - الشيخ أحمد حسن الباقورى (١٩٧١) . مع الصائمين . دار الشعب بالقاهرة . ص ١٤٥ .

٣ - الأستاذ عباس محمود العقاد (١٩٦٢) . العيد فى الدين وفى اللغة . مقال نشر فى مجلة الأزهر ، الجزء العاشر من المجلد الثالث والثلاثين . ص ١١٦٣ .

٤ - الأستاذ أحمد حسن الزيات (١٩٣٣) : فى العيد . مقال نشر بمجلة : "الرسالة" بتاريخ ١٥ أبريل من عام ١٩٣٣.

عيد التضحية والفداء

الإسلام دين الوسطية والاعتدال ، ومن ثمَّ فكما كان للجد فيه نصيب وافر ، فإنه لم يغفل أيضا جانب الترفيه المشروع عن النفس ، حتى تستعيد طاقتها فى بذل الجُهد ، والتزام جانب الجد مرة أخرى فى طاعة الله ، سواء فى جهاد العدو - أيا ما كانت طبيعته وصفته - أو جهاد النفس والهوى والشيطان ؛ ولذلك كانت للأعياد فى شريعة الإسلام تلك المكانة الخاصة ، التى لا يُقدِّرُها حق قدرها إلا من التزم منهج الله ، وآثر الجد وبذل الجهد فى طاعة الله وقت الشدة وحال الرخاء. فهى بمثابة محطات استرواح فى الطريق الشاقة الطويلة ، لالتقاط الأنفاس ، وتعبئة النفوس ، واستجماع القوى لمواصلة المسير.

وحتى طبيعة الفرح والسرور بالعيد هنا تنشأ من إحساس المسلم بالسعادة ، نتيجة طاعته لله تعالى ، فعيد الفطر مثلا يأتى بعد تأدية فريضة الصوم ، وعيد الأضحى يأتى عقب تأدية المسلم للركن الأعظم من أركان الحج وهو الوقوف بعرفة.

وفى كلتا المناسبتين من الفروض والسنن ، ما يهيئ جو الفرحة ، ويفشى عبق السرور فى ديار المسلمين. فحينما يحل

عيد الفطر يكون المسلم قد أدى للفقير صدقة الفطر ، فلا يشعر بوطأة الحاجة فى هذا اليوم الكريم ، كما يشعر الغنى بسعادتين ، أولاهما منشؤها طاعته لله تعالى ، أما الأخرى فهى سعادة العطاء.

ومن ناحية ثانية يكون الجميع ـ الغنى والفقير والصغير والكبير ـ قد أتم صيام شهر رمضان المعظم ، فتعم الفرحة في هذا اليوم جميع المسلمين. وهنا يكون عيد الفطر بمثابة جائزة المسلمين الحقيقية ، لطاعتهم لله ـ تبارك وتعالى ـ على كل المستويات ؛ ومن هنا فقد أطلق عليه يوم الجائزة.

أما عيد الأضحى ، ففيه أيضا سنة من السنن ، التى لو أُحسِن أداؤها ، فإنها ستكون أيضا سببا فى إسعاد كثير من الفقراء ، من غير القادرين على تناول سيد الطعام وهو اللحم ، الذى بات فى غير متناول كثير من الناس ؛ لارتفاع سعره ارتفاعا جنونيا.

ولأهمية ذلك فى ديار المسلمين فقد أعلن مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث ، ضمن قراراته وتوصياته للفترة الثانية ، أن الذبائح من هدى وغيره فى موسم الحج ، شعيرة من الشعائر الإسلامية ، وعبادة دينية لها أهدافها

الاجتماعية، ولا يجوز لمن يكون قادرا عليها أن يستبدل بها غيرها من القربات. كما أهاب المؤتمر بجماعة المسلمين فى كل الأقطار ـ شعوبا وحكومات ـ أن يتعاونوا على دفع المضار، التى قد تكون فى موسم الحج بسبب هذه الذبائح ، وعلى أن تأتى بثمراتها ومنافعها التى أرادها الشارع ، وأن يتخذوا السبل المؤدية إلى ذلك.

أما الأضحية بالنسبة لغير الحاجِّ ، فقد شرعها الإسلام أيضا على المسلم القادر عليها ؛ وذلك للتوسعة على أهل بيته وأقربائه وجيرانه ، وعلى فقراء المسلمين فى يوم عيدهم ، ولذلك فقد سمى هذا العيد بعيد الأضحى أو عيد الأضحية.

ومن ناحية أخرى ، فكلما أطل علينا هلال ذى الحجة ، من كل عام ، تتداعى للذاكرة ، أجل معانى التضحية والفداء ، لنستخلص منها دروسا غالية ، وقيما عالية ، ومُثُلا جديرة بالتأسى والاقتداء. فالامتحان الذى تعرَّض له أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وابنه سيدنا إسماعيل عليهما السلام ، ونجحا فيه بمراتب الشرف العليا ، مناسبة غالية على الإسلام والمسلمين ، بل وانتصار حقيقى للمُثل العليا للإنسانية ، فى سعيها الدائب والحثيث ، نحو بارئها وخالقها ، طاعة وعبادة

وحبا ، وتضحية بكل غال ونفيس ، حتى وإن كان نفس المرء التى بين جنبيه ، إيثارا لما عند الله تعالى ، فما عند الله خير وأبقى ، وهو أيضا درس مُفيد للأبناء فى طاعة الآباء ، الذين هم سبب وجودهم فى هذه الحياة ، وليكن فى معلومهم أن ثمن هذه الطاعة مزيد من الحياة الكريمة والسعادة الحقيقية ، المزدانة برضا الله تعالى ورضوانه فى الدنيا والآخرة.

وبعد .. هل تبقى للعيد من معنى؟

وهنا لابد من وقفة تأمل وتبصر ، وهى وإن كانت واقعية فهى مؤلمة إلى حد كبير ، وربما كانت كذلك لواقعيتها ، التى لا يلمح المرء من خلالها بصيص أمل قريب ، وإن كنا بطبعنا لا نيأس من روح الله ، فهو سبحانه قادر على تغيير وتحويل حالنا إلى أحسن حال. فأوجه الإصلاح المرجوة الكثيرة تجعل الحمل ثقيلا ، والأعباء جساما ، تتضاءل إلى جانبها أية مشاعر عابرة للفرحة ، بل ويتلاشى معها الإحساس بدورية الشهور والأعوام ، وقدوم المناسبات والأعياد!

فمع الانتكاسات القومية والوطنية والسياسية والاجتماعية والعلمية والتعليمية ، مع كل هذه الإحباطات ،

يتشكك المرء كثيرا فى أنه قد تبقى للعيد بعد ذلك من معنى!
إن المعنى الوحيد للعيد ، هو الذى نحاول أن نستلهمه من عيون أطفالنا ، وضحكاتهم البريئة ، وتصرفاتهم التلقائية ، ومظهرهم المتجدد تجدد نسمات صباح العيد ، وطفراتهم ، وهرولة بعضهم حول البعض ، وكأنهم يقومون بدور لا يستطيع أن يقوم به سواهم ، وهو بالفعل كذلك. فإن كنا ـ نحن الكبار ـ قد عجزنا عن إدراك ملامح العيد ، لطغيان ملامح أخرى أنْسَتْنا معناه وفحواه ، فلعلنا ندركه فى حركة وحيوية الأمل الذى يطفر من عيون وحركات أبنائنا وأطفالنا الأبرياء ، وهم يمثّلون الأمل فى غد أفضل حالا ، وأكثر إشراقا مما نحن فيه!

الحياة لا تتوقف:

ومع ذلك فالحياة لا تتوقف ، ومع استمرار الحياة لابد من التغيير لكسر هذه السلسلة الحديدية التى تتكرر على وتيرة واحدة ، فلابد من مقاومة الرتابة والملل ، والنزوع نحو التجديد ، وليس كالعيد مناسبة دينية واجتماعية يمكن أن توفر فرصة ذهبية لكل ذلك.

يقول الرافعى: العيد يوم الخروج من الزمن إلى زمن وحده لا يستمر أكثر من يوم. زمن قصير ظريف ضاحك ،

تفرضه الأديان على الناس ، ليكون لهم بين الحين والحين يوم طبيعى فى هذه الحياة التى انتقلت عن طبيعتها. يوم السلام ، والبشر ، والضحك ، والوفاء ، والإخاء ، وقول الإنسان لأخيه: وأنتم بخير!

يوم الثياب الجديدة على الكل إشعارا لهم بأن الوجه الإنسانى جديد فى هذا اليوم. يوم الزينة التى لا يُراد منها إلا إظهار أثرها على النفس ، ليكون الناس جميعا فى يوم حب. يوم العيد ؛ يوم تقديم الحلوى إلى كل فم لتحلوَ الكلمات فيه". أ. هـ.

ومع تغيير المظاهر بارتداء الثياب الجديدة ، وتغيير الأماكن بالرحلات والأسفار ، وزيارة الأهل والأقارب فى مدن أخرى ، أو استقبالهم فى دورنا ومنازلنا ، ومع التغيير فى النمط الغذائى والنشاط اليومى خلال إجازة العيد ، ومع بعض العمل الاجتماعى ، الذى من شأنه أن يُدخل الفرحة والسرور على الآخرين ، كل هذه الأنشطة وغيرها ، يمكن أن تبعث على الشعور بسعادة ، قد يشعر معها المرء بالجوهر الحقيقي للعيد ، وقيمته الكبرى فى التجديد المُفيد ، وهو ما أراده الشارع الحكيم حينما شرع لنا الأعياد ، التى تتجدد وتتكرر ، على مدى الأيام والأعوام.

فهرس



المؤلف

أ.د. محمد فتحى فرج بيومى

أستاذ الفسيولوجيا المتفرغ بكلية العلوم جامعة المنوفية.

عضو اتحاد كتاب مصر.

رئيس قسم علم الحيوان السابق بالكلية.

الوكيل الأسبق لكليتى العلوم ، والتربية النوعية - جامعة المنوفية.

نقيب العلميين السابق بإقليم المنوفية.

نشر أكثر من أربعة وسبعين بحثا علميا فى مجال تخصصه بالمجلات العلمية بمصر والخارج. وتخرج على يديه أكثر من ٤٥ باحثا وباحثة بين حاصل على الماجستير أو الدكتوراه. حكّم ما يربو على ٧٨ رسالة ماجستير ودكتوراه فى جامعات مصر المختلفة. وشارك فى ترقية الكثير من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية (أستاذ - أستاذ مساعد). كما شارك فى كثير من الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية.

كتب للمؤلف:

نحن والبيئة: شقاق أم وفاق؟ (١٩٩٦) نقابة المهن العلمية بالمنوفية - رمضان فى الفكر الدينى المعاصر (٢٠٠٥) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - موسوعة الحضارة الإسلامية (بالاشتراك)

(٢٠٠٥) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مع القرآن فى شهر رمضان (٢٠٠٦) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - بيولوجيا الحب والزواج. سلسلة اقرأ ، العدد رقم ٧٢٢ (٢٠٠٧) دار المعارف. أساسيات علم وظائف الأعضاء (٢٠٠٨) مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة - أبو العلاء بن النفيس عالما وطبيبا (٢٠٠٩) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - العلم والإنسان (٢٠١٠) دار المعارف - إعجاز القرآن في الفكر المعاصر (٢٠١٠) سلسلة كتاب الجمهورية - الدم نسيج الحياة (٢٠١١) دار المعارف - فرسان الثقافتين (٢٠١١) الهيئة العامة لقصور الثقافة - أعلام أهملهم الإعلام (٢٠١٢) دار المعارف - طه حسين وقضايا العصر (٢٠١٤) الهيئة العامة لقصور الثقافة - العقاد الذي لا يعرفه كثيرون. الهيئة العامة لدار الكتب المصرية (٢٠١٤) - نظرية التطور (٢٠١٥) الهيئة العامة لقصور الثقافة - عبقرية العقاد صاحب العبقريات. سلسلة كتاب اليوم (٢٠١٥) - الاختلاف وأدبيات الحوار. الهيئة المصرية العامة للكتاب (تحت الطبع).

هذا عدا أكثر من مائتى مقالة منشورة فى المجلات العلمية والثقافية والأدبية فى مصر والبلاد العربية كمجلات: الهلال ، والمجاهد ، والعلم ، و "التصوف الإسلامى" ، و"منبر الإسلام" ، و"الأزهر" ، و"الثقافة الجديدة" ، وصحيفة "الأهرام" ، و"المنهل" ، و"منار الإسلام" و"الوعى الإسلامى" ، و"الداعى" (الهند) ، و"الفيصل العلمى" ، ومجلة "إبداع" ، ومجلة "الرواية" ، ومجلة "الفكر المعاصر" ، و"العربى" ، و"تراث" ، و"الرافد" ، وغيرها.

عضوية اللجان والجمعيات النوعية والمتخصصة:

عضوية لجنة تقويم امتحانات البكالوريوس فى الفسيولوجيا وسلوك الحيوان بالمجلس الأعلى للجامعات بجمهورية مصر العربية - المشاركة فى أعمال اللجنتين العلميتين الدائمتين للترقى لدرجة أستاذ مساعد ودرجة أستاذ فى علوم الحيوان - مُقوِّم خارجى External Evaluator للبرنامجين الدراسيين: علم الحيوان والكيمياء ، وعلم الحيوان ، فى كلية العلوم بجامعة القاهرة - مُقوِّم خارجى لبعض المهام الخاصة بالجودة لكلية التربية - جامعة المنصورة.

جوائز حصل عليها:

حصل علي جائزة جائزة التميز العلمى لجامعة المنوفية :أستاذ مُتميِّز فى العلوم البيولوجية في العام الجامعي١٩٩٩- حصل على درع جامعة المنوفية للتميز الإدارى بوصفه وكيل لكلية العلوم لمدة ثلاث سنوات عام ٢٠٠٤ - دروع وشهادات تقدير من جامعات القاهرة وجنوب الوادى والمنيا وأسيوط للإشراف على النشاط الطلابى المتميز فى الفنون - جائزة اللواء الدكتور أنور زهران للثقافة العلمية فى العلوم الأساسية للعام ٢٠١٠ - جائزة التأليف العلمى لجامعة المنوفية فى العام ٢٠١١ عن كتاب: "أساسيات علم وظائف الأعضاء" - حصل علي جائزة المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى عن بحث بعنوان: "أدب الاختلاف فى المنظور الإسلامى" ، للعام ٢٠١٣ - جائزة النور الخالد للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة بالاشتراك مع مجلة "حراء" للعام ٢٠١٣،

هذا الكتاب

يتضمن هذا الكتاب طائفة من الفصول التى كُتبت حول فلسفة الصيام - كما يفهمها المسلم الوسطى المعاصر - من خلال ما جاء حول الصيام فى القرآن الكريم ، وفى ضوء العلم الحديث. وقد ساق المؤلف أفكاره وخواطره حول هذا الموضوع الأثير لدى المسلم ، لاسيما ما يدور منها حول المفاهيم العلمية الحديثة ، فى مجال علوم الفسيولوجيا والتغذية والصحة العامة ، وعلاقة كل هذا بشعيرة الصيام ، كعبادة عملية يتعرض فيها المسلم - طواعية بوحى من إيمانه - للحرمان من أهم المقومات الحياتية طاعة لله تبارك وتعالى.

وقد عرض المؤلف هذه الأفكار الإسلامية والعلمية ، المرتبطة بالصوم ، معتمدا على المُوَثَّق والصحيح ، سواء فى المجال الدينى أو العلمى ، فى عبارة سهلة سلسلة ، مبتعدا عن التعقيدات العلمية المتخصصة ، والمصطلحات الكثيرة التى قد تستوجب شرحا تفصيليا ، ومع هذا قد تدخل القارئ - غير المتخصص - فى دوامة الغموض ، بدلا من أن تكون مدخلا مناسبا للتحليل والتفسير والتوضيح.

وقد أتى كل هذا فى صورة أدبية مشرقة ، ونسق لغوى واضح ، ومفاهيم علمية حديثة ، توضح وتفسر ببساطة كثيرا من الظواهر التى قد يقف أمامها البعض مُتسائلا ومُستفسرا! وقد توفر على وضع هذا الكتاب واحد من كتابنا الذين يجمعون بين الثقافتين العلمية والأدبية ، فجاءت على هيئة فصول ممتعة تتناسب وجلال شهر رمضان الكريم ، وكل عام وأنتم بخير.

روايات الهلال تصدر ١٥ يوليو ٢٠١٥



روايات مصرية للجيب

إنها بالفعل شيء ملائكي رائع

إثارة ، متعة ، ثقافة ، تسلية ، ذكاء ، ألعاب ، مغامرات















أكثر الروايات باللغة العربية
إثارة ، وأحفلها بالمتعة والثقافة

تذوق متعة القراءة مع
أحلى القصص ، وأجمل الروايات

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقي الفجالة ،
4 ش الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة - القاهرة - ت : 22586197 - 24677371 - 24677138
فاكس - 202/24677188 ج.م.ع ، 4 ش بدوي محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 - 03/4970850